سيدة سوريا

شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

شباط 2015 العدد (12)

المرأة العربية في طريق التحرر
من صنع القنابل والموت نسفاً إلى النضال السلمي

التمييز الإيجابي تجاه المرأة في القرن 21

من تاريخ الحركة النسوية في لبنان وسوريا

ظاهرة الطلاق : أسبابها وأشكلها وفقاً للقانون

أيمن الأحمد . . هذا البدوي حريق الماء

سيدة سوريا

رئيس التحرير
محمد ملأك

مدير التحرير
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير
مراد عيد

saiedetsuria@gmail.com

WWW.facebook.com/saiedetsouria

المكتب الرئيسي
تركيا - غازي عينتاب

00905533679528
00905435322971
00905347362458

المركز السوري للصحافة و النشر
Syrian Center For Press & Publishing

السعر خارج سوريا: (5) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

العناوين:

١٠ اصوات نسائية غيرت وجه التاريخ

من تاريخ الحركة النسوية في لبنان وسوريا ١٦

تحرر المرأة في مصر.. المسار الصعب ١٩

إشعاعات التونسيات بفضل نضالهن وبالقوانين التشريعية ٢٤

عن "شيماء الصباغ"
والخرطوش الذي اغتال وردة

٤٦ امرأة حازت على جائزة نوبل ٢٨

إكسير العشاق ٤
نجاح سفر

أصوات نسائية غيرت وجه التاريخ ١٠
مها شهبه

المرأة في صراعها لنيل الحقوق ١٤
خوشمان هادو

تحرر المرأة في مصر.. المسار الصعب ١٩
مها مصطفى

إشعاعات التونسيات بفضل نضالهن ٢٤
صوفيه النهامي

٤٦ امرأة حازت على جائزة نوبل ٢٨
سامر مختار

الثروة السمكية في سوريا ٣٢
محمود الدرويش

ظاهرة الطلاق وفقا للقانون ٣٦
سحر حويجه

عن شيماء والخرطوش الذي اغتال الوردة.... ٤٠
إيمان عادل

لا تسلبوا شهداءنا أسماءهم ٤٦
وجدان ناصيف

وسائل الاتصال الحديثة .. عتبات وممكنات ٦
ضحى عاشور

بداية بيضاء ١٣
بسمة شيخو

من تاريخ الحركة النسوية في لبنان وسوريا ١٦
ترجمة إنعام شرف

المرأة العربية في طريق التحرر ٢٢
سلام مختار

المرأة في ظل التحول الاشتراكي ٢٦
رهف موسى

الموت السريع .. التهاب الكبد ٣٠
هاديه الخطيب

التميز الإيجابي تجاه المرأة في القرن الواحد ٣٤
والعشرين
ترجمة فريق سيدة سوريا

يمنيات بين النص والواقع ٣٨
سحر غانم

الفن ليس في العقل.. الفن في العين والأذن ٤٤
وعلى الجلد بكامله
عفاف خليفي

حارسات الغياب من يحرسهن ٤٧
ياسر الأطرش

كرتونة الموت في مخيم اليرموك

للكلام بقية

"عندما يجف قلب أولادك ويملأ الطفح الجلدي وجوههم، من أكل (رجل العصفور)، لن يكون أمامك حل إلا أن تذهب (للكرتونة). فبدونها سيموتون جوعاً أمامك. أما إن ذهبت، ربما يكون لديهم شهر ليعيشوا ويسندوا أجسادهم الصغيرة".

تحتاج الحقيقة الصادمة التي تلقيها أم كفاح، إلى كثير من التفنيد ليفهمها البعيد عن جو مخيم اليرموك، وما يعيشه اليوم في جو الحصار الذي يفرضه عليه النظام السوري وشبيحته. فأم كفاح التي لا تزال تنتظر مع صغارها الثلاثة، خروج زوجها الذي أخذه "شبيحة المخيم" منذ ثمانية أشهر إلى أحد معتقلات النظام، أرهقها الخروج للحصول على عشبة رجل العصفور، من البساتين المتاخمة لجنوب المخيم. لقد أطعمت أطفالها آخر ما لديها من حبوب منذ ثلاثة أشهر.

تقول أم كفاح عن رحلتها هذه: "**بعد التعرض لخطر الفوضى التي يمكن أن تصادفك بسارقٍ أو منتهكٍ، ستعود بعشبةٍ ضررها أكثر من نفعها**"، حيث يطبخ المضطرون من أهالي المخيم المحاصرين رجل العصفور مع البهارات، وفقط مع البهارات وإن بنكهات مختلفة، ليكتشفوا لاحقاً أنها تتسبب بطفح جلدي، وبقع حمراء لم تزل عن الوجوه حتى لدى من توقف عن أكل العشبةِ أياماً.

يحكي أبو أنس، أربعينيٌ وأبٌ لخمسةِ أطفال أكبرهم في الحادية عشرة: "**يبكي الأطفال عندما يتضورون جوعاً ويعانون من البزال وعديد الأمراض بسبب ضعف مقاومة أجسادهم. ويموت كبار السن لنفس الأسباب لكن صامتين. فعندما يقل الطعام ويصبح تحصيله صعباً، ستتحول بيسر نحو إلغاء عادة العشاء أنت والأولاد وأمهم. وبكثير من المشقة تحتفظ بوجبةٍ واحدةٍ في اليوم وتلغي الثانية. يرهقك إحساس الجوع أياماً، ثم تصغر معدتك وتكسل أمعاؤك. وتحرق شحوم جسمك مروراً بالورك والأطراف وصولاً إلى الخدين. لكن أن لا يتواجد الطعام نهائياً. ويصبح الأولاد عرضةً للموت جوعاً هذا أمر آخر. لن يمنعك شيء حينها من التوجه إلى (كرتونة الموت) المزروعة بالقناصين**".

وعن كيف تحولت المنطقة خلف مخفر اليرموك، إلى اسم كرتونة الموت للحصول على كرتونة الغذاء، يتابع المدرس السابق أبو أنس "**هي قصةُ أبطالها رصاص القناصة المطلين على المخيم، من جهة، ومن جهةٍ أخرى أجساد محاصري المخيم التي تسير بهم خطواتهم إلى أمل لا يكتمل، للحصول على كرتونة غذائية توزعها الأونروا ومنظمات إغاثيةٍ أخرى، ولكثرة القتلى في هذه الرحلة أطلق الناس على مكان توزيعها كرتونة الموت**".

هكذا غدت (الكرتونة الغذائية) التي يُقتل الناس في سبيلها، بينما يذهبون إليها طوعاً، واضعين احتمال قنصهم نصب أعينهم، منطقةً، مكاناً، ذاكرةً وقدراً.

تقول أم عمر، خمسينية وإحدى الناجيات من مغامرة كرتونة الموت "**كنت هناك وكانوا يضربون الناس كي يضعوهم في الصف. شباناً رجالاً نساءً كباراً في السن، لا فرق لديهم. والناس مصابون بدوار الجوع والإعياء لا يحتملون نكزةً، بعضهم يقع في الطين وبعضهم تدوس عليه الجموعُ فيما تتحرك مرتعبةً، فيما أيدي "مسلحي جبريل" كالمطارق. لا ينقصهم شيء. طعام وشراب ومال وسجائر. فمن يحمل السلاح في سوريا أياً كانت جهته يحصل على ما يريد. ومن هم ضعفاء مثلي لا يعرفون أحداً، يمنعهم الرعبُ والوهن من التقدم. فيبقون في الخلف ويعودون بخيباتهم**"، ثم تضيف دامعةً: "**منهم لله. كأنهم لم يعيشوا في بيوت. ولا كان لديهم آباء أو أمهات**".

هذا وتبدأ رحلة كرتونة الإغاثة إلى المخيم، من تدخل دول عظمى، ونوايا دولٍ مانحة، ثم مفاوضات بين المنظمات الدولية والأونروا مع النظام السوري وفروع أمنه، ثم حواجز الميليشيات التابعة له، وصولاً إلى فصائل فلسطينية تعمل في خدمته، وفي كل عبور وكل حاجز تفقد شيئاً، أو يدفع عليها المال رشىً، فيما يكون محاصروا المخيم، والذين سبق وسجلوا أسماءهم استناداً إلى (كرت أبيض لديهم يجعلهم مستحقين للإغاثة)، بانتظار قافلة الأونروا التي تحمل الغذاء والموت. وفي داخل المخيم، يعبر الطريقُ الذي يضطر المحاصرون الساعون إلى كرتونة الموت قطعة، شارع راما (مثلث برمودا) كمثال على مناطق يسيطر عليها قناصة النظام وتابعيه، والذين يسعون بالقتل كل جهدهم، للتأكيد على أنهم موجودون يهيمنون على فضاء المكان من خلال فرجات الشوارع، وليس أنسب من يوم توزع فيه كرتونة الإغاثة، للاستعداد للقتل.

يستوطن الموت مخيم اليرموك كجزء من الأرض السورية، حاملاً كل خذلانه وخيباته للناس، حيث يقتل النظام السوري شعبه، ويقتل مسلحون فلسطينيون، من القيادة العامة التابعة لأحمد جبريل، وفتح الانتفاضة، وجبهة النضال الشعبي، وقوات الصاعقة، والحزب الديمقراطي الفلسطيني، والحزب القومي العربي، وشبيحة فلسطينيين آخرين يتبعون مباشرةً للمخابرات الجوية، وقد نشر الجميع قتلتهم وقناصيهم لحصار أهل المخيم، زد على ذلك شبيحة شارع نسرين وغيرهم.

نور الدين، وهو موظف سابق وناشط رفض في وقت سابق مغادرة المخيم، فيما لا يستطيع اليوم عبور الحواجز للمغادرة ولو أراد، يقول: "**كل من يحاصر المخيم من الخارج، وكثير من الفصائل الموجودة داخله، مستفيدون من الحصار. يجنون الأرباح من موتنا هنا. وبخدمهم أن يطول أمد الحصار. لا نعتب على النظام السوري فقد عرفناه منذ زمن طويل مجرماً. لكننا نعتب على أهلنا الذين يبيعون دمنا بالمال والانتماءات المقفقة**".

ليس الموت جديداً في مخيم اليرموك، فأهالي المخيم يعايشونه منذ ثلاث سنوات، لكن أن تُقتل في سبيل سلةٍ غذائية، ربما يرونه هزيلاً، مذلاً شديد المرارة، ولدرويش شاعر فلسطين في جداريته:

"يا موت انتظر... لتكون صياداً شريفاً لا يصيد الظبي قرب النبع"

رئيس التحرير

إكسير العشاق

الحب... الحبل السري الذي يربطنا بالحياة

نجاح سفر

يصبغ «عيد الحب» العالم بالأحمر. فتتولى الحرب في سوريا صبغها بالدم. الحب... كلمة لا تبعث فقط على الفرح. بل تعبر عن منتهى الألم والقهر. فكم من عائلة سورية منكوبة تُعتصر قلوبها لدى ذكر عبارة «عيد الحب». إذ تستذكر شهيدها. معتقلها. مختطفها أو مفقودها. لكن هل نستطيع العيش بدون الحب. الذي. رغم استحضاره مشاعر الألم عند البعض. إلا أنه يلعب دوراً إيجابياً في صحتنا النفسية والجسدية والاجتماعية؟ هذا ما سنحاول إلقاء الضوء عليه من خلال طرح مفهوم الحب كـ«علاج».

يجمع العلماء على أن الحب يساهم في التخلص من حالات الكآبة والإحباط لدى معظم البشر، رغم أن تأثيره أكبر على النساء منه على الرجال. فالعلاقات الودودة تحمي النساء من الإصابة بحالات الاكتئاب الرئيسة، التي قد تتعرض لها في حال لم يحصلن على دعم عاطفي من أزواجهن أو أقاربهن أو آبائهن، وذلك بالمقارنة مع أخواتهن الذكور. يفسر أخصائيو الطب النفسي المسألة بأن الدعم الاجتماعي يعتبر عاملاً مهماً بالنسبة للمرأة، التي إن شعرت بالحب والاهتمام وتعاطف الآخرين من حولها، كانت مساهمتها إيجابية وأكثر فعالية في المجتمع. وبذلك يقل احتمال إصابة المرأة بالاكتئاب، الأمر الذي لم يلاحظ عند الرجل، الذي هو على ما يبدو أكثر مقاومة للمظاهر الاجتماعية في بيئته.

الحب مسكن للألم

بينما يحتفل الكثيرون حول العالم بيوم الحب، يعمل عدد من العلماء على دراسة ظاهرة الحب

وتأثيرها في الدماغ. فقد تبين من خلال عدة دراسات أنه يمكن تنشيط حالة الحب في دماغ المرضى للتخفيف من آلامهم، فحالة الحب لها نفس تأثير مسكنات الألم على الجسم، وهو الأمر الذي كشفته تقنيات الأشعة عند تصوير أدمغة أشخاص يقعون تحت مشاعر الحب، حيث أظهرت تلك الأشعة نشاطاً كبيراً في أجزاء الدماغ المرتبطة بالشعور بالمكافأة والحافز، فعند مراقبة صور الأشعة تبين أن الأشخاص الواقعين في غرام قوي ويمضون أكثر من نصف نهارهم وهم يفكرون بالحبيب، لديهم القدرة على تجاوز الألم ثلاث مرات أكثر من الأشخاص الذين يخطر حبيبهم على بالهم لمدة أقل من نصف النهار.

والحب كمسكن ألم يتفوق على المسكنات الطبية بأنه ليس له مضاعفات جانبية. لذا عمد العلماء إلى تنشيط أجزاء الدماغ الداخلي المرتبط بالمكافأة وتلك المسؤولة عن مشاعر الرضا والسعادة، حيث تبعث بإشارات للمادة الرمادية للمسال الدماغي، والتي ترسل بدورها إشارات للنخاع الشوكي، ويتم بالتالي إغلاق الطريق أمام إشارات الألم من الوصول إلى الدماغ. ففي حال وقف الألم أمام طريق الإنسان، يحجب الدماغ أثره ويوجه دوافع المرء باتجاه الرغبات والحب.

هرمون الحب

لا يقتصر تأثير الحب على الصحة النفسية، بل يتعداه إلى الصحة الجسدية، حيث أثبتت الدراسات أن «الأوكسيتوسين»، المعروف باسم «هرمون الحب»، والذي يتم إنتاجه في الدماغ، يمتلك تأثيراً على عدة أصعدة من التفاعل الاجتماعي، مثل الارتباط العاطفي والثقة والحب. كما أن تأثير هذا الهرمون لا يقتصر على تعديل المزاج، بل يتعداه إلى علاج العديد من أنواع الصداع أيضاً، كما يخفض معدلات هرمون التوتر وضغط الدم. فالعلاقات الودية بين الناس تعزز نظام المناعة عند الإنسان،

وتقلل التوتر النفسي وتعزز أجواء الثقة بين الشريكين، مما يقلل نسبة الكوليسترول في الدم، ويخفض من خطر الإصابة بجلطة القلب، ويقوم بتحسين صحة الإنسان بشكل عام، فالحب علاج ناجع لكثير من معضلاتنا النفسية والصحية والاجتماعية. ويؤكد العلماء أيضاً أن التوازن النفسي والتصالح مع الذات يعكسان موجات من الحب الصادق الذي يدفعه التفكير الإيجابي، ويلعبان دوراً رئيساً في تحديد مسار علاقاتنا مع الآخرين، لأنه مرتبط بمشاعر الثقة التي توليها لهم.

داء الحب

يؤكد علماء النفس أن داء الحب يمكن أن يكون قاتلاً، لذا يجب أخذ الأمر بجدية واعتباره مشكلة حقيقية، فكثير من الأشخاص يصابون باضطرابات نتيجة وقوعهم في الحب، وقد يكون حبهم من طرف واحد، مما يؤدي إلى إقدام بعضهم على محاولة الانتحار. وبذلك يتحول الحب إلى مرض على الأطباء الاهتمام بتشخيصه، حيث يفقد البعض حياتهم نتيجة تحطم قلوبهم بسبب اليأس وفقدان الأمل، مما يودي بهم إلى حالة غير طبيعية من الإنهاك الجسدي، ومن ثم الانتحار.

سابقاً كان ينظر إلى داء الحب على أنه مرض عادي يصيب عقل الإنسان عند وقوعه في حبائل الغرام، ومن أعراض ذلك المرض الهوس، تضخم الإحساس بالذات، الإحباط، الأرق والغضب.

وقد اعتبر أجدادنا من الأطباء العرب، كالرازي، ابن سينا، البغدادي وغيرهم، الحب مرضاً، إذ يقول ابن سينا في ذكر أسبابه: «هذا مرض وسواسي شبيه بالمالينخوليا، يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمايل التي له، سواء أعانته على ذلك شهوته أم لم تعنه».

وصنف أجدادنا الحب في درجات مختلفة حسب شدّته منها: الحب، الصبابة، الهوى، العلاقة، الجوى، الخلة، الكلف، العشق، الشغف، الشعف، التيم، البتل، الوله، والهيام وهو أعلى درجات الحُبّ، حيث يصل الحب إلى درجة الجنون.

الحب والتوحد

تدل الدراسات على وجود منخفض لمستوى الأوكسيتوسين (هرمون الحب) عند الأطفال المصابين بمرض التوحد مقارنة مع الأطفال الطبيعيين، لذا تم اقتراح العلاج بهذا الهرمون، الذي ربما يساعد الأطفال المصابين بالتوحد في التغلب على الصعوبات التي يواجهونها بالتفاعل الاجتماعي.

وحسب دراسات حديثة تبيّن أن إعطاء الطفل المتوحد جرعة من هرمون الحب من شأنه أن يضبط النشاط في مناطق الدماغ المرتبطة بالتفاعلات الاجتماعيّة، حيث يدعم الهرمون التأثيرات في مناطق الدماغ المسؤولة عن التواصل الاجتماعي، ويجعل مناطق الدّماغ المسؤولة عن العجز الاجتماعي عند الأطفال المصابين بالتوحد، سويّة بشكل مؤقّت.

وقد فتحت هذه الدراسات نافذة أمام العلماء لتحسين الأداء الاجتماعي للأطفال المصابين بالتوحد. وعلى الرغم من التحسن الاجتماعي المتواضع الذي ظهر على الأطفال، إلا أن التغير الملحوظ على مناطق الدماغ المسؤولة عن النشاط الاجتماعي فتح باب الأمل لعلاج المرض.

العناق دربنا إلى الكمال

الحب يساعد الأطفال بشكل عام على تخطي المصاعب النفسية، فهو يساعد على تأسيس البنية العاطفية السليمة للصغار، ويشكل حصناً منيعاً في مرحلة المراهقة. فالطفل المشبع عاطفياً يكون أكثر اتزاناً في مشاعره، مما يؤثر على حياته المستقبلية. ويعتبر العناق أفضل وسيلة لتهدئة الطفل في حالة الغضب وارتكاب الخطأ، بدلاً من الضرب الذي يحقق نتائج عكسية، وهو يزيد من ذكاء الطفل ويساعد على نموه الطبيعي. فالعناق يساعد على إفراز مادة «الأندروفين» في الجسم، وهي موصل عصبي يساعد على تخفيف العصبية والقلق النفسي والإحساس بالألم، مما يشعره بالأمان. كما يساعد على انتظام ضربات القلب واعتدال ضغط الدم، ويخفف من الإحباط ويحث على الاسترخاء. والسبب في كل ما تقدم يعود إلى قيام المخ بإفراز هرمون الحب (أوكسيتوسين) الذي يسهم في منح الطفل الشعور بالأمان.

وبناء على ذلك، فإن حب الآباء لأطفالهم يترتب عليه الكثير من مظاهر التوازن والصحة النفسية، لذلك يشدد الأطباء وعلماء النفس المهتمون بالصحة النفسية للأطفال على ضرورة إشعار الصغار بهذا الحب، وإشباع حاجاتهم النفسية التي تنعكس إيجاباً على الشخصية المستقبلية للطفل في جميع مراحل حياته، كما تؤثر على تربية أبنائه في المستقبل، إذ تنتقل بطريقة لا شعورية إلى الأبناء، بحيث يمارس ما تلقّاه في الصغر، ويعيد إنتاجه سواء بالحب أو بالعنف.

وفي النهاية، يمكننا توجيه مشاعرنا باتجاه حب الآخرين، وتمني السعادة لهم والعمل على تحقيقها، فالمحبون يرون سعادتهم في سعادة الآخرين، وبذلك يتحول الحب إلى دواء يعالج العلل، المشاكل، المعاناة والألم. ومظاهر الحب الصادقة تصنع الفرح، تحقق الراحة النفسية وتعمل على مسألة التصالح مع الذات، وكل ذلك فيه علاج للمشاكل النفسية، الصحية والاجتماعية.

وسائل الاتصال الحديثة

عقبات وممكنات

ضحى عاشور

تتحدث آخر الأرقام عن أربعة مليارات ونصف المليار من الإعجابات (اللايكات) اليومية التي يضعها مشتركو الفايسبوك على منشورات بعضهم البعض. ما يوحي بأن العالم ليس "قرية صغيرة" فقط. بل قرية معجبة ببعضها ومتحابة أيضاً! إذا كان التواصل يقرّب بين الناس. فلمَ تسود الكراهية القاتلة إذن؟ ولمَ ينفق العالم المتمدن تريليون ونصف التريليون من الدولارات على التسلح؟

لا يمكن إنكار فضائل الليبرالية (الحرية الرأسمالية). التي عممت منتجاتها التقنية والعلمية والفكرية على البشرية في سياق بسط سيطرتها على العالم بما يتوافق مع مصالحها في توسيع أسواقها وتطويع القوانين والأنظمة الاقتصادية. وما يتبعها من بنى اجتماعية وثقافية استهلاكية تحديداً. الأمر الذي يمثل الجانب الإيجابي في العولمة. ما حدا باتجاهات يسارية. بيئية ومناهضة للآثار السلبية للعولمة. بتصور إمكانية مواكبة العولمة والاكتفاء بتقليم مخالبها عبر معارضة سياساتها العنفية والظالمة بحق الشعوب والطبقات الفقيرة. التي تتعرض مكتسباتها لتهديدات تغوّل العولمة عبر وصفات مؤسسات دولية. تخضع لسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات. وتملي عليها سياساتها مثل: صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية.

العولمة التي غيرت العالم ووصلت إلى صورتها الجديدة (النيوليبرالية) اصطدمت بعقبات. منها أن العالم مختلف وبعضه متخلف عن إمكاناتها وسرعة تحولاتها. وعن نهمها في ابتلاع الخيرات والموارد البشرية والمادية المتوافرة. بما يجعلها أكثر احتكاراً وتحكماً. وقد أوجدت منظومة مفاهيم ومصطلحات عامة معوّمة تخفي وراءها جشعها. فمن الحرية وصلت إلى الحرية الجديدة. ومن الحداثة ذهبت لما بعد الحداثة. ومازال العالم بسواده الأعظم يرزح تحت أثقال العبودية والماضوية. ما يضعها أمام معضلة إمكانية استقرار هيمنتها. وما يجعلها مرة بعد أخرى تواجه هذه العقبات بالعنف العاري أو المتستر وراء فرض قيود وشروط تواصل مجحفة.

لا يخفى أن غالبية الاختراعات العلمية جرى تحفيزها بدوافع وغايات عسكرية. من الراديو إلى الكاميرا (سينما وتلفزيون) إلى الإنترنيت. ما يمنحها بُعدين متنافرقين: الأول بُعد الهيمنة. نظراً لتبعيتها لمن يملكها ويدفع من أجل تعميمها. والثاني: بُعد الاستقلالية النسبية المتحصل بالتدريج.

جراء واقع أن البشر المستهلكين لوسائل الاتصال لابد أن يطبعوها بطابعهم المتنوع والمتعدد والذي لا يمكن السيطرة عليه بصورة تامة.

تدين البشرية لثورة الاتصالات بنشر المعارف على نطاق واسع وبسرعات كبيرة وأسعار زهيدة نسبياً. وخلق إمكانيات وفرص "التبادل" الاقتصادي . الاجتماعي . والثقافي بين سكان الأرض. حيث تمكنت أعداد متزايدة من الناس من الإطلاع على نظم وأنماط حياة ومعتقدات شعوب أخرى ومجموعات بشرية وحتى أفراد لديهم آلام وآمال متباينة وأحياناً مشتركة. ما ساهم لاحقاً في إمكانية تنظيم تواصل جماعي مثمر (ندوات ومؤتمرات ودورات). ناهيك عن التواصل الفردي (التعليم الافتراضي. فرص العمل. الترفيه). لقد كانت النساء الفئة الأكثر تعطشاً لمعرفة العالم ومنتجاته المعرفية والقانونية والحقوقية. وأنماط حياته ومدى مشاركة المرأة في الحياة العامة. وقدراتها على التنظيم والعمل والمطالبة بتحسين شروط وجودها. كون النساء يشكلن الفئة الأكثر حرماناً من حرية الحركة والاختلاط والسفر والتعليم. بدواع دينية أو تقليدية تبقين قيد الخدمة المنزلية والعزلة الاجتماعية.

يعتمد العالم اليوم مفهوم التواصل والاتصال بدل مفهوم الإعلام. على اعتبار أن العالم الحديث مبني على التفاعل وتبادل الاتصالات! على حين يعبّر الواقع الفعلي عن مستوى الهيمنة الذي تتمتع به سلطات النيوليبرالية. التي تحتكر سائر مجالات النشاط البشري. حيث تحتكر الشركات المتعددة الجنسيات النشاط الاقتصادي. ولا تسمح إلا ببعض التبادل الهامشي الذي تتخلى عنه لوكلائها في مناطق بعيدة من العالم أو بلدان تمتلك من الخصوصيات الثقافية والتعقيدات القانونية. ما يجعلها تكتفي بصيغ من المشاركة

في المنافع عبر منح اسم الشركة أو رعاية نشاطها أو المساهمة معها..إلخ.

لقد نادت منظمات حقوق الإنسان واليونسكو ومنظمات غير حكومية منها مراسلون بلا حدود وسواها، بحرية تدفق المعلومات التي اعتبرتها شرطاً مؤسساً لحرية الرأي والتوجه، حيث كشفت أنه رغم ثورة المعلومات إلا أن هناك عمالقة كبار يتحكمون بكمية المعلومات التي تضخ للعالم ونوعها، والتي تختلف نسب توزعها بين بقاع شتى في العالم، كما تقل حتماً كلما اتجهنا نحو فضاءات بلدان يتحكم فيها الاستبداد ويمنع وصول المعلومة، سواء عبر الامتناع عن توفير البنية التحتية اللازمة، أو مراقبة المواقع وحجبها، أو اعتقال وملاحقة الكتاب والصحفيين على الشبكة العنكبوتية... الأمر الذي لا يحدث في شرق العالم وجنوبه فقط، بل في غربه وشماله أيضاً، ما أدى إلى ظهور أحزاب القراصنة، التي تعتبر أحد أهم أهدافها: تعميم المعرفة وكشف الحقائق التي يتستر عليها السياسيون والديبلوماسيون بدواعي أمنية وعسكرية واستراتيجية، وتخفيف اعتبارات حقوق الملكية للوثائق والمنشورات ذات النفع العام، وهي أحزاب فاعلة في كل من ألمانيا والسويد وغيرها، حيث استطاعت أن تحصل على تمثيل برلماني في أكثر من دولة.

يعاني العالم من فيض المعلومات، وليس من نقصها هكذا يردّد محتكرو المعلومات ووسائل الاتصال، ويردّد وراءهم كل طغاة الدين والدنيا في محاولة لخنق الفضاء الذي بات يفتح عيون وعقول الناس وطموحاتها وأحلامها بالانعتاق والمطالبة بتغيير الأنظمة التي حولت حياتهم إلى سلسلة متراكبة من الأسوار المغلقة. ويبدو وجيهاً الحديث هنا عن فيض المعلومات، حيث أغرقت الثقافة الاستهلاكية العالم بمنتجاتها الفائضة فعلاً عن حاجة سواده الأعظم، فالشباب المتطلع إلى فرصة تعليم مقبولة وعمل يقيه شرّ العوز، وقطاعات كبيرة في مجتمعاتنا ليس لها همّ أبعد من تأمين اللقمة واللقاح لأطفالها، لا تعنيها أسواق البورصة والمال، ولا تشعر بحاجة لمعرفة أنواع فراء الثعالب ولا الموضة، الطبخ، رياضة الركمنجة، أسعار الوجبات في المطاعم السابحة فوق الماء، الرحلة إلى المريخ، أسعار مشاهد نجوم السينما، طرق معالجة الحيوانات المكتئبة أومسابقات جمال الشعر والأظافر والمؤخرات... كل هذه المعلومات فائضة عن الحاجة، بل تبدو معلومات مستفزة ومثيرة للنقمة على عالم باذخ معدوم الضمير، يبّذر موارده ويستنزفها، في حين يعيش معظمه على الكفاف، وما دون خط الفقر المدقع، إذ يعيش خمس سكان العالم على دخل أدنى من دولارين يومياً، وهو الحد الأدنى الذي يميز الفقر المدقع عن الفقر العادي الذي يتمتع به ربع سكان دول الاتحاد الأوربي (البلدان الاشتراكية سابقاً). على حين يحوز ١% من أثرياء العالم على ما يوازي حصة ٩٩% من أخوتهم في الإنسانية، علماً أن حصة الـ ٩٩% ليست متساوية من الدخل، حيث البشر غير متساويين (إلا نظرياً) في إمكانية الحصول على الثروة.

تقترح مفاهيم ما بعد الحداثة التركيز على الخصوصيات واحترامها، الأمر الذي ينطوي على إيجابيات الاعتراف بالآخر وحقوقه وحرياته، لكنها بالمقابل وتحت مسمى الخصوصيات تجزئ العالم وتقسمه إلى شعوب وحضارات وقوميات وإثنيات وطوائف وقبائل وعشائر، وأخيراً إلى أفراد مستقلين معزولين لا رابط بينهم، سوى شبكات الاتصال التي توصل لهم الخدمات إلى بيوتهم حيث كانت، وبالمواصفات التي يريدون وفي الأوقات التي يفضلونها، المهم أن يبقوا مواطنين صالحين يدفعون الضرائب ويشاركون في الانتخابات، قابعين بقية أعمارهم وراء شاشات الاتصال، يبنون عالمهم الافتراضي الضيق المفهوم بالنسبة لهم، يختارون أصدقاء افتراضيين يشاركونهم مشاعرهم وانفعالاتهم ولغتهم، ويتبادلون الإعجاب والرضى.

هذه خلاصة التواصل الأكثر عمومية بين العالم وهي حقيقة تعاني منها شعوب ما بعد الحداثة بأكثر من صورة: وفرة وسائل الاتصال وشحّ في التواصل، العزلة والسمنة والاكتئاب واللامبالاة تجاه الآخرين، انعدام الحماس للتفاعل مع المحيط والاستعاضة عن محاولة تغيير العالم بتغيير الأصدقاء والصورة الشخصية والحالة الانفعالية، ليختزل التواصل إلى مجموعات (شلل) متماثلة المزاج والاهتمامات، منغلقة على بعضها ومعزولة عما حولها، بالتالي من الطبيعي أن تكون شديدة التعلق والإعجاب بعالمها المتوهم/ الافتراضي.

ورغم كل الإشارات السريعة سابقة الذكر، تبقى وسائل الاتصال الحديثة منتجاً بشرياً لا يخلو من المساوئ والمحاذير، لكنه ينطوي على الكثير من الإمكانات والفرص الثمينة التي يمكن استثمارها وتوظيفها بما يعزز الفهم والتفاهم والتضامن، والتعاون على تحديد المشكلات واستكشاف الممكنات، لإيجاد منافذ خلاص مواتية للغالبية المهمشة والمسحوقة، خاصة في ظل عالم يجري تقسيمه وتقطيع أوصاله بلا رحمة ودون توقف.

■

طفلة لا زوجة

أطلقت مجلة سيدة سوريا حملة "طفلة لا زوجة"، بتاريخ ١٢ كانون الثاني ٢٠١٥، بدعم من الحكومة الكندية. استمرت فعالياتها حتى تاريخ ١٢ شباط ٢٠١٥.

وجاء في بيان الحملة التي هدفت للحد من تزويج القاصرات السوريات: " طفلة لا زوجة" حملة ضد تزويج القاصرات، تطلقها مجلة "سيدة سوريا" في ١٢ / ٠١ / ٢٠١٥، بهدف حشد الدعم والمناصرة ورفع سوية الوعي للحد من هذا الانتهاك بحق الطفولة والمجتمع. الطفلة السورية، وبسبب ظروف الحرب والنزوح، تسرق من طفولتها وألعابها، فتزوج وترمى إلى مصير مجهول وتجربة قاسية. ساهموا معنا في التخفيف من هذا الحيف وحماية طفلات سوريا".

كما أصدر منظمو الحملة "بروشور"، تضمن معلومات حول التداعيات الجسدية والنفسية على القاصر وطفلها في حال أنجبت في سن صغيرة. وطبع منه ٤٠ ألف نسخة وزعت داخل وخارج سوريا.

فعاليات الحملة تعددت وشملت مناطق واسعة من الداخل السوري، فضلاً عن نشاطاتها في دول الجوار حيث تواجد السوريين. فطبعت ووزعت "بروشور" الحملة في مناطق تواجد مكاتب "سيدة سوريا" في محافظات: درعا، حلب، دمشق، اللاذقية والحسكة، إضافة إلى التنسيق مع نشطاء من محافظتي حمص وإدلب.

أما في مناطق تواجد النازحين السوريين بدول الجوار ، فجرت فعاليات في (مخيم الزعتري بالأردن، عرسال في لبنان، أربيل في العراق، القاهرة في مصر، وعدد من المدن التركية).

كذلك، نشرت مجلة سيدة سوريا ملفاً خاصاً بقضية تزويج القاصرات اشتمل على ٣٣ صفحة من أصل ٥٢، تناولت القضية من الجانب

القانوني، النفسي، الصحي/الطبي، وتحقيقات وشهادات حول القضية، متناولةً تجربة عدة دول فيما يتعلق بالزواج المبكر.

فيما طبعت المجلة ٩ آلاف نسخة وزعت في مناطق تواجد مراسلها ومكاتبها كافة داخل وخارج سوريا، ونظمت عدداً من الندوات واللقاءات، كان أولها منتدى "المعرفة وحرية التعبير" الذي استضاف الدكتورة وزيرة الثقافة في الحكومة السورية المؤقتة "سماح هدايا". والمعالجة النفسية "آية مهنا" من لبنان، وكل من الدكتور "محمد حبش" والناشطة اليمنية "هند نصيري" عبر "سكايب". لتناول القضية من زوايا ثقافية اجتماعية، نفسية، وفقهية، كما استعرضت التجربة اليمنية في مواجهة تزويج القاصرات.

كذلك عقدت ندوة في مدينة أنطاكيا التركية، بالتعاون مع مركز "أمل للمناصرة والتعافي"، وفي مدينة الريحانية، كما عقدت ندوتان في مخيمات أطمة شمال مدينة إدلب.

وقالت إدارة الحملة إنها تنوي المتابعة في "نشر التوعية والتشبيك مع المنظمات الدولية المعنية، والمنظمات السورية المهتمة". وفي إطار ذلك التقت إدارة الحملة مسؤولين من اليونيسيف لمناقشة إمكانية تنسيق للعمل في المخيمات التركية كخطوة أولى، واقتراح حلول إجرائية بديلة للأسر التي تلجأ لتزويج بناتها تحت ضغط الظروف المعيشية القاهرة.

أما فيما يتعلق بالعمل ضمن المخيمات التركية فما زال التنسيق مع الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية جارياً للحصول على إذن دخول المخيمات.

يذكر أن الإعلام التركي مرئياً ومكتوباً أبدى اهتماماً بالحملة، وكان لقاء للناشطة التركية شيناي أوزدن على إحدى القنوات التركية، تحدثت فيه عن الحملة ونشاطاتها، واقترحت تعاوناً بين سيدة سوريا ومنظمات تركية مهتمة، إضافة إلى تفاعل عدد من الإذاعات والتلفزيونات والصحف السورية ونشرها للقاءات وتقارير عن الحملة.

أصوات نسائية غيرت وجه التاريخ

مها شهبة

- ماري كوري أول امراة تفوز بنوبل

- كوخ العم توم رواية تقود ثورة ضد الرق في أمريكا

- فلورانس نايتنجيل جعلت التمريض فناً نبيلاً

- كاترين العظيمة تسمح بطبع القرآن في روسيا،

وتوقف التعميد القسري للمسلمين.

في الميثولوجيا المصرية كانت إيزيس إلهة وامرأة وحبيبة، لمّت أشلاء حبيبها وصنعت أسطورتها، لكن المرأة لم تصبح فرعونة إلا كاستثناء سريع وقصير مع حتشبسوت ونفرتيتي، التي تشكك الدراسات في أصولها وترى أنها غير مصرية إذ إن اسمها يعني "الآتية من هناك". وفي الميثولوجيا اليونانية كانت النساء آلهات يمرحن على جبل الأولمب، يصنعن المكائد، يحاربن الرجال ويقهرنهم... لكن الواقع السياسي والفكري لم يذكر لنا مثلاً امرأة واحدة في جمهورية أفلاطون، ذلك الفيلسوف "الرجعي"، الذي له من النساء موقف لا يليق بأحلام الجمهورية المثالية، فهل تلخص الميثولوجيا قصة النساء في العالم؟!

المرأة تخلق الحياة أماً وحبيبة، والرجل يحكمها حتى ولو صعدت امرأة إلى سدة الحكم، فذلك هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، أو الذي لا يكتمل أبداً.

تاريخ النساء يكتبه الذكور، وتصنعه جماجم تطير هنا وهناك، ولا يبقى لحواء سوى حفنة من دموع كأرامل أو يتامى، يدفعن طوال العمر فاتورة الذكورة في جموحها وانكسارها.

لم تصعد حواء (رغم سيل الملكات الذي تزين به أوروبا جيد السلطة والثروة منها) لتمسك بمقاليد الحكم بصورة فعلية، ومع ذلك فقد أثرت في تغيير المجتمعات سواء حاكمة، "ناشطة"، أديبة أو عالمة، وسواء بشكل فردي أو من خلال عمل عام، لكن النساء سطرن سفراً طويلاً من النضال، لعبن فيه أدوار البطولة في السياسة والاجتماع، وتركن بصمات بالغة الأهمية، لا يمكن رصدها في مقال سريع يشير ولا يصرح بالكثير.

كليوباترا

هذه قراءة عاجلة في دفتر أحوال بطولات النساء في المسرح السياسي العالمي حتى الحرب العالمية الأولى.

الملكة الفاتنة

يبدأ سفر النساء بكليوباترا، تلك الملكة الساحرة التي حكمت مصر أيام البطالمة، حيث اعتلت كليوباترا السابعة ابنة بطليموس الثاني عشر عرش مصر في العام ٥١ ق.م لكنها هُزمت في حروبها المصرية لإحكام السيطرة على البلاد رغم مساعدة يوليوس قيصر لها.

وفي السجل الذهبي للنساء المؤثرات في العالم يلمع اسم بوديكا ملكة بريطانيا أيام الإمبراطور الروماني نيرون، والتي كانت أول زعيمة بريطانية تقود ثورة ضد الاحتلال الروماني لبلادها في القرن الأول الميلادي، لتدشن بذلك دور المرأة المناضلة، الذي سيتكرر مراراً في التاريخ العالمي بعدها.

ولا ينسى التاريخ إليانور (١١٢٢-١٢٠٤) كأول ملكة في التاريخ الفرنسي، مدشنة عصر الملكات الأوروبيات الذي سيشهد أسماء كثيرة.

قديسة بأثر رجعي

لا تصمد الملكة إليانور كثيراً في ذاكرة التاريخ، ربما لأنها صارت ملكة لإنجلترا أيضاً، وربما لأن بطلة فرنسية أخرى ظهرت في القرن الخامس عشر هي جان دارك، التي قادت ثورة التحرر ضد الاحتلال الإنجليزي لبلادها، وتحولت إلى أيقونة لا تزال باقية في الذاكرة العالمية، كأول مناضلة فرنسية من أجل الحرية.

إليانور

فجان دارك (أو عذراء أورليان) التي ولدت في قرية بوسط فرنسا، انخرطت في المجال الكنسي، وكانت قديسة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، قبل أن تصبح بطلة قومية لفرنسا، فقد قادت الجيش الفرنسي لانتصارات مهمة في حرب المائة عام مع إنجلترا، وقالت إنها رأت رؤيا إلهية تدعو إلى دعم شارل السابع ملك فرنسا.

تعرضت جان دارك لاتهامات بالهرطقة، وأعدمت وهي لم تتم التاسعة عشر من عمرها، وبعد ٢٥ عاماً من إعدامها ردت إليها الكنيسة الاعتبار، وأعادت محاكمتها وبرأتها من تهمة الكفر وأعلنتها شهيدة، وتم إعلانها قديسة بأثر رجعي في العام ١٩٢٠.

ومن النساء اللواتي غيرن شكل الحياة في القارة الأوروبية إليزابيث الأولى (١٥٣٣- ١٦٠٣)، وهي ابنة الملك هنري الثامن ملك إنجلترا، التي أعدمت

والدتها، واعلنت ابنة غير شرعية. لكنها تولت العرش بعد إعدام أخيها غير الشقيق جين جراي، وسجن أختها ماري.

شهدت البلاد في عهدها تطوراً كبيراً في إطار عصر النهضة، وتحولت بريطانيا من دولة إلى إمبراطورية. وكان أول أثر للملكة إليزابيث في العمل السياسي إدارة البلاد بمنطق الشورى، وليس بمنطق الحكم المطلق.

ثم كان عملها الكبير إنشاء الكنيسة البروتستانتية الإنجليزية، وأصبحت هي الحاكمة لها، مدشنة بذلك تلك العلاقة بين العرش السياسي والعرش الديني، بعيداً عن سلطة الفاتيكان. وفي عصرها نشرت ثقافة التسامح والعدل.

كاترين والمسلمين

في روسيا لعبت الإمبراطورة كاثرين العظيمة (١٧٢٩-١٧٩٦) دوراً بارزاً في إحداث نهضة حقيقية، فنقلت بلادها نقلة نوعية على كل المحاور، وكانت من أشد المدافعات عن حق النساء في الصعود الاجتماعي.

وقد تولت العرش بانقلاب على زوجها القيصر بيتر الثالث، ورغم هذا الانقلاب وحكمها الاستبدادي، دافع عنها واحد من رواد الفكر الحر في العالم وهو "فولتير"، الذي قال فيها: "مستبد عاقل خير من مستبد جاهل"، وهو ما يعكس شهرتها كإمبراطورة حكيمة سعت لتحديث بلادها ومجتمعها.

جان دارك

كاثرين

وولستونكرافت

خلال فترة حكمها التي امتدت ٣٤ عاماً ازدهرت الصناعة، وتم إنشاء بنك حكومي، وصك عملة ورقية للمرة الأولى في روسيا، كما تم في عهدها إنشاء متحف الأرميتاج الشهير، الذي يعد خزانة التاريخ الروسي بكل مراحله.

ومما يذكره المسلمون لكاترين مثلاً أنها رفضت السياسات الرامية إلى طرد المسلمين من روسيا، أو تعميدهم إجبارياً، إذ ألغت التعميد القسري للمسلمين عام ١٧٦٤، وسمحت لهم بإنشاء المساجد، كما سمحت بطبع نسخ من القرآن باللغة العربية في عام ١٧٨٧.

الحركة النسوية

وغير بعيد عن السياسة في شكلها الملكي أو نظام الحكم، يمكن أن نشير بفخر إلى دور ماري وولستونكرافت (١٧٥٩-١٧٩٧) التي أصدرت كتابها الشهير "دفاعاً عن حقوق النساء" عام ١٧٩٢، فأصبح مرجعاً أولياً للحركة النسائية العالمية في كل مجالات الحياة. وقد أكدت وولستونكرافت في كتابها على أن النساء لسن أقل شأناً من الرجال، وأن حرمان المرأة من التعليم هو الذي يجعلها تبدو أقل شأناً من الرجل، ودعت إلى تعليم المرأة.

ورغم دعوتها وكتاباتها الإبداعية والتاريخية التي أعلت فيها من شأن الثورة (حيث كتبت دراسة مطولة عن الثورة الفرنسية)، والعقل، فإن حياتها الخاصة تغلبت على أفكارها، حيث دخلت في علاقة مع هنري فوسيلي، لكنها تزوجت بعد ذلك من الفيلسوف وليام جولدوين، الذي نشر في العام ١٧٩٧ قصة حياتها بجموحها كله، فتسبب في تدمير سمعتها.

ومع ذلك فإن العالم ينظر إلى سيرتها باحترام، فقد ناصرت حركة تحرر المرأة ودافعت عن الفقراء ضد سلطة المجتمع بصدق يجعلها من أهم رموز الحركة النسائية والإنسانية في التاريخ.

ويرى الكثيرون أن كتاب "المرأة في القرن التاسع عشر" من أهم أوائل الكتب المؤسسة للحركة النسوية في الثقافة الأمريكية، وهو الكتاب الذي ألفته الناقدة مارجريت فولر (١٨١٠ – ١٨٥٠)، مدافعة فيه عن حقوق المرأة في التعليم والعمل والمساواة مع الرجل.

لم يتوقف نشاط فولر على دعم الحركة النسوية فقط، بل تعدى نضالها ذلك إلى ميدان تحرير العبيد في المجتمع الأمريكي.

ولدت فولر في كامبريدج، ماساتشوستس، وتلقت تعليمها هناك، ثم صارت معلمة عام ١٨٣٩. قبل أن تصبح مراقبة لنشاط نسوي هو "المحادثات"، وهو نشاط تربوي بديل، تتم فيه نقاشات وحوارات في أمور الثقافة والحياة، لتعويض النساء المحرومات من حق التعليم العالي.

عام ١٨٤٥ نشرت كتابها الشهير "المرأة في القرن التاسع عشر"، وكانت أول محررة صحفية في نيويورك تريبيون، التي أرسلتها عام ١٨٤٦ إلى أوروبا، فتورطت في الثورة الإيطالية هناك، وبقيت وتزوجت وأنجبت طفلاً، توفيت وأسرتها في حادث تحطم سفينة أثناء العودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٥٠.

وفي بريطانيا أيضاً ظهرت واحدة من أهم النساء الحاكمات، هي الملكة فيكتوريا، التي تولت حكم بريطانيا من عام ١٨٣٧، حتى وفاتها في ١٨٧٦، وهي من أصول جرمانية، لم تكن مجرد ملكة، تملك ولا تحكم، وفق الأعراف السياسية البريطانية، بل كانت حاكمة حقيقية تشارك في صنع القرارات السياسية، وقد طبعت العصر بطابعها، فسمي بالعصر الفيكتوري، الذي شهد ثورة في الأدب، السياسة، الاقتصاد والصناعة.

كوخ هاريت ستو

"كوخ العم توم" واحدة من أشهر الروايات العالمية التي رصدت معاناة الزنوج في أمريكا ونضالهم من أجل الحرية، ولذلك استحقت كاتبتها هاريت ستو أن تكون ضمن لائحة الشرف بين نساء العالم اللاتي أثرن في الحياة الأدبية والسياسية.

ولم تكن ستو (١٨١١-١٨٩٥) كاتبة روائية فقط، بل كانت ناشطة سياسية واجتماعية في حركة تحرير العبيد. لعبت روايتها "كوخ العم توم" التي يبعت منها ملايين النسخ دوراً بارزاً في دعم حركة المقاومة للرق الأمريكي ورفض قانون العبيد الفارين، الذي أصدرته أمريكا عام ١٨٥٠.

كما عملت ستو على دعم النساء، والدفاع عن حقوق الزوجات اللاتي كن يعاملن كالعبيد في المجتمع الأمريكي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وكانت ستو من المؤسسين لمدرسة هارفاد للفنون، والتي صارت جزءاً من جامعة هارفاد الشهيرة.

وسيظل التاريخ الإنساني مديناً بالكثير لإليزابيث كادي ستانتون التي قادت حملة طويلة للدفاع عن حق النساء في التصويت، إذ يرى المحللون أنها مؤسسة حركة حقوق المرأة، التي انتزعت حق التصويت للنساء عام ١٩٢٥ بعد رحيل إليزابيث بـ ١٨ عاماً.

بدأت ستانتون حياتها العملية بعد الزواج من هنري بروستر ستانتون أحد نشطاء حركة إلغاء الرق الأمريكي، وفي عام ١٨٤٨ نجحت في إقناع المجلس

التشريعي الأمريكي بسن قوانين تحمي حقوق ملكية النساء المتزوجات في الولايات المتحدة. ثم قادت أول مؤتمر لحقوق المرأة في نيويورك. وطالب المؤتمر بمنح النساء حق التصويت في الانتخابات التشريعية. وكتبت عن تجربتها في هذا المجال كتابها "تاريخ مشاركة النساء في الانتخابات". لكنها توفيت قبل أن ترى ثمرة كتابها وجهدها.

وفي الوقت الذي لم تكن فيه للنساء حقوق في ألمانيا. قادت الاشتراكية روزا لكسمبورغ الحركة العمالية في بلادها. وهي المولودة في عام ١٨٧١ لفلاحين من بولندا. انضمت وهي في السادسة عشرة من عمرها إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي (الذي سمي بحزب البروليتاريا). لكنها واجهت متاعب سياسية بسبب نشأتها. ففرت إلى سويسرا وتفرغت للتعلم والنشاط السياسي. فدرست العلوم الطبيعية والاقتصاد في جامعة زيوريخ. ثم توجهت إلى ألمانيا تناضل من أجل حقوق العمال. وترفض جبود الحركة الإصلاحية التي كانت سائدة آنذاك في ألمانيا. مطالبة بحركة ثورية جذرية تشارك فيها القواعد الشعبية.

روزا لوكسمبورغ

اليزابيث ستانتون

انتقدت روزا نتائج الثورة الروسية الأولى (١٩٠٥). لإصرار الثوار على عدم تطبيق الديمقراطية. وعارضت الحرب العالمية الأولى التي اندلعت عام ١٩١٤. كما هاجمت نظرية لينين حول دور الحزب الشيوعي. باعتباره أداة الطبقة العاملة لتحقيق ديكتاتورية البروليتاريا. لأن ذلك يفسد حسب رأيها الديمقراطية التي كانت تراها الوسيلة المثلى لتحقيق حكم البروليتاريا.

أسست روزا الحزب الشيوعي الألماني مستنكرة الإرهاب البلشفي في روسيا بعد الثورة الروسية ١٩١٧. وتبنت نظرية الإضراب العام لتحقيق مطالب العمال. لكن ثورتها الراديكالية ماتت باغتيالها على أيدي بعض العسكريين اليمينيين المتطرفين في الجيش الألماني.

حاملة المصباح

إذا كانت هناك امرأة لا يمكن للعالم أن ينساها. فهي فلورانس نايتينجيل (١٨٢٠- ١٩١٠). أو السيدة حاملة المصباح. كما تلقبها الأدبيات التاريخية. فقد دشنت حركة التمريض العالمية.

فلورانس المولودة في بريطانيا لعائلة بريطانية غنية. والتي رفض والدها تعلمها فنون التمريض (إذ كان العالم آنذاك ينظر للتمريض باعتباره مهنة من الدرجة الثانية). أصرت وتعلمت عام ١٨٥١ قواعد التمريض. ولم تكتفِ بذلك. بل وضعت قواعد وفنون عمل التمريض في المستشفيات. وكانت أول من حوّل التمريض من فن يتم نقله بالخبرة إلى علم له قواعده. نجحت في إنشاء أول معهد للتمريض في إنجلترا في عام ١٨٥٣ وتولت ادارته. وكان يسمى آنذاك "معهد السيدات النبيلات للعناية بالمرضى". وقد لعبت دوراً بارزاً في إنقاذ الجرحى في حرب القرم. التي اندلعت بين روسيا من جهة وبريطانيا وتركيا وفرنسا من جهة. وأنقذت الكثيرين من الموت. فكافأها الإنجليز بجمع ٥٠ ألف جنيه إسترليني قدموها لها لتنشىء بها بيت نايتينجيل لتدريب الممرضات في مستشفى سانت توماس.

أما ماري كوري (أول امرأة في التاريخ تفوز بجائزة نوبل. وأول شخص يفوز بها مرتين في مجالين مختلفين). فقد خطت في عالم جديد حمل حركة النساء في العالم إلى آفاق جديدة. إذ أنها فازت بنوبل في مجال الفيزياء عام ١٩٠٣. ثم فازت بها ثانية في مجال الكيمياء عام ١٩١١.

ماري كوري بولندية الأصل. تجنست بالجنسية الفرنسية. وهي أول من وضع نظرية النشاط الإشعاعي. وابتكرت تقنيات لفصل النظائر المشعة.

خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) نجحت في تأسيس أول المراكز الإشعاعية العسكرية. إذ وجدت أن هناك حاجة لمراكز إشعاعية ميدانية قرب خطوط المواجهة. للمساعدة في الجراحات الميدانية. وبعد دراسة سريعة لعلوم الإشعاع والتشريح وميكانيكا المركبات. اشترت ماري معدات الأشعة السينية ومركبات ومولدات مساعدة. وطوّرت وحدات تصوير شعاعي متنقلة. عرفت شعبياً باسم "كوري الصغيرة". كما ترأست الخدمات الإشعاعية التابعة للصليب الأحمر. وأسست أول مركز أشعة عسكري فرنسي نهاية عام ١٩١٤. وبمساعدة من طبيب عسكري وابنتها إيرين ذات السبعة عشر عاماً. أدارت تجهيز ٢٠ عربة أشعة. ٢٠٠ وحدة أشعة للمستشفيات الميدانية في أول أعوام الحرب. وبعد ذلك. دربت نساء أخريات للمساعدة.

وبسب اكتشافها عنصري البولونيوم (أسمته على اسم بلادها الأصلية بولندا) والراديوم. فازت بجائزة نوبل في الفيزياء مع زوجها بيار كوري. قبل أن تفوز بجائزة الكيمياء بمفردها عام ١٩١١.

ساهمت أعمال ومجهودات ماري كوري المادية والاجتماعية إلى حد كبير في تشكيل صورة العالم في القرنين العشرين والحادي والعشرين. يقول بيرس ويليامز الأستاذ في جامعة كورنيل: "أحدثت نتائج أعمال كوري عهداً جديداً. كان النشاط الإشعاعي للراديوم عظيماً. بحيث لا يمكن تجاهله. يبدو متناقضاً مع مبدأ بقاء الطاقة. وبالتالي أعاد النظر في أسس الفيزياء. على المستوى التجريبي. قدم اكتشاف الراديوم لرجال أمثال إرنست رذرفورد مصدر إشعاع مكنهم من التحقق من بنية الذرة. ونتيجة لتجارب رذرفورد بإشعاع ألفا. افترضت لأول مرة الذرة النووية. أما في الطب. فقدم النشاط الإشعاعي للراديوم وسيلة أمكن من خلالها مهاجمة السرطان بنجاح".

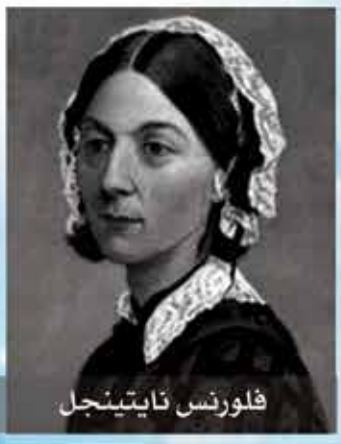
فلورنس نايتينجل

ماري كوري

بداية بيضاء

بسمة شيخو

بداية بيضاء لهذا العام، بعكس جميع الجثث من حولي، متفائلة أنا بهذا العام ٢٠١٥، متفائلة بهدى أو زينة أو سلام، حتى أسماء العواصف لا نتفق عليها، أشكر الله أن هذا الخلاف لم يُنتج ضحايا، متفائلةٌ، لأن القاتل هذه المرة نفي، قتلنا دون قصد، كان يحمل عشرات رجال الثلج ليوزعها على شرفات منازلنا، لم يدرِ بأنه سيعود محمّلاً بالعديد منا، فنحن أيضاً نبعث هدايا للسماء، متفائلة لأن هذا الموت قد عرى الجميع من كذبهم لتصطك أسنانهم ببرد العار، متفائلة لأن الأيام تمرّ، وسنتجاوزها، تلك هي معجزة الحياة، في مقولةٍ لـ (هرقليطس):

«كلّ شيءٍ يجري ولا شيءَ يمكُث، إنّكَ لن تستحمّ في النهر نفسِه مرّتين».

سأدع النهر إذن يجرف الكثير من الحصى والصخور، الذكريات والأحلام، وأستقبل كلّ ثانيةٍ مياهه الجديدة، أنتظر سمكة تخبئ في بطنها خاتم سليمان، كالأطفال أنا أؤمن بالمعجزات والخرافات والحكايات القديمة، أجرب سجاد جدتي واحدةً تلو أخرى علّني أجد بساط السندباد بين سجادها العجمي، على رؤوس أصابعي أدخل المطبخ وأفرك الأباريق النحاسية وأنا أحبس أنفاسي وأقف باستعداد في انتظار ملاقاة المارد الأزرق، أصعد السلالم لأصل للعليّة، أكسر الجرار الفخارية وانتظر أن تندلق الليرات الذهبية في يدي... لن أخجل وسأخبركم أني قبلت عشرات الضفادع ولم يتحول أحدها لأمير وسيم، وأني تركت معظم أحذيتي في الشوارع وفي داخلها ورقةٌ تحمل العنوان، قدرتُ أننا نسكن مدينة كبيرة، ولم يجلب أحدهم الحذاء على وسادة من الساتان، أسلك الطرق الطويلة دوماً باحثةً عن الذئب ولا أجد إلا النعاج، منذ أيامٍ تناولتُ تفاحة مسمومة تمددتُ منتظرةً قُبلة تحييني وعندما لم يأتِ أحد بصقتُ التفاحة وقطعتُ شجرة التفاح، وقفتُ أمام مرآتي «من هي الأجمل؟»، صورتي لم تتغير، اعتبرتُ بأنها الجواب الصحيح وبأن هذه الأسطورة حقيقيّة.

العديد منا يؤمن بخرافاتٍ خاصةٍ به ويعيش الحكايا من دون أن يدري، فمسوخ «كافكا» مثلاً لا يسكنون كتابه فقط، في كل بيت يوجد أحدهم، فكم من مرةٍ نصحو من نومنا بثقلٍ وكأننا حشراتٌ ضخمة عاجزةٌ عن رفع الغطاء عن جسدها القاسي، وبعد محاولةٍ طويلة بين أخذٍ وردٍ ننتصب بصعوبةٍ بالغة، نرتطم بأرض الغرفة، نخشى أن تتكسر أرجلنا الهشّة، الأصوات تنادينا من الخارج، نرتبك كيف نخرج عليهم حشراتٍ مقززة، من سيغفر لنا قبحنا؟ كيف سنبرر ما حدث؟ من سيصدق بأننا من كثرة ما أمنا بالقصة لبسناها، وبأن المستنقع المحيط بنا فرض علينا مظهراً لائقاً به، وبعدما نجمع كلّ ما نملك من قوة ونخرج للناس، ألا ترجف قلوبنا كفراخٍ صغيرة؟ ألا نخشى من قرون استشعارنا المهتزة أن تشير إليهم؟ ألا نحاول أن نبتعد لنحيا وحيدين كأكاسيا وسط الصحراء؟ هناك يحقّ لنا أن نتجرع أكواب الأمل بصحة الأيام القادمة، وأن نودّع ما مرّ وندعوه للبقاء معنا في انتظار القادم الجديد، فلطالما كنت أعتقد أن السنوات أشبه بالبشر، ترافقنا حيناً وتغادر بعدها للأبد، لذا كنت أحاول أن أرسم بسمتي على شفاهها، لتذكرني بخير في حال عادت يوماً عجوزاً كهلة تبحث عن أصحابٍ قدامى.

في بداية العام أجلس وحيدةً في قلب هذه المدينة المربكة الصامتة، وأنشد ما قاله الطغرائي:

أعلّل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأملِ

أيّ عيشٍ هنا في قلب هذا الموت لولا الأمل الذي يتقمص دور عجلةٍ، ليسير بحياتنا إلى الأمام بعد أن كسرت أقدامنا بمراهناتٍ غبية، يقول الإنجليز: لولا الأمل لانكسر القلب، وعني أقول: قد انكسر القلب مراراً لكن الأمل كان لاصقاً مثالياً جعله أشبه بقطعةٍ أثريّة من الفسيفساء، سأقتلعها من صدري ذات يوم وأضعها على الرف بغرض الزينة فقط، سيكون جميلاً الآن على إحدى الأشجار المكسوّة بالثلج، أو ربما من الممكن إحراقه ليتدفأ عليه بعض الأطفال، سيكون نافعاً في أي مكان عدا صدري فهو هناك خلف القضبان يشعر أنه سجين يحلم بالطيران، وأنا أكتب هذه الكلمات بدأ برفرف فرحاً لحلمٍ سيتحقق، سأشاركه الرفرفة أيضاً وأفكر في أحلامٍ نضجت وآن لها أن تتحقق، ستعودون جميعاً إلى هنا رافعي رؤوسكم، وسنرقص حتى الصباح، سينبت الأموات من قبورهم ونقطفهم من جديد، ستقف الأبنية على أقدامها من جديد بعد أن أطالت التمدد على صدر المدينة، سنزيّن الشوارع ونطرز الأشجار وننادي الأطفال كي يلعبوا ما شاؤوا إلا (شرطة وحرامية) فقد ملوها كما مللناها.

٢٠١٥ لتكن قبعتك سحرية، لتخرجي منها حمامات السلام والأرانب بيضاء، لتكن روحك بيضاء كالثلج الذي حملته إلينا، أصلي كي تكوني إجابةً لدعاء ثكلى، ومنديلاً لعين يتيم، أصلي لكي لا يخيب أملي، أصلي لمعجزة تختبئ في بطن ٥ الرقم المدور ككعكة، في غمرة الحلم يعود الطغرائي، وبابتسامةٍ خبيثة يهمس لي:

وحسن ظنّك بالأيام معجزة فظنّ شراً وكن منها على وجلِ

المرأة في صراعها لنيل الحقوق

خوشمان قادو

لم تخرج المرأة منذ أن هيمنة السلطة الذكورية على المجتمع من إطار النظر إليها بمنظور سطحي وبدائي. كانت ولا تزال تُقاس بمقولة «الضلع القاصر» المشحونة بدلالات ذات مرجعية دينية ومن ثمّ مجتمعية. بذلك حُمّلت المرأة صفات كانت قاسية جداً.

مقارنة مع الإطراء المرافق للقضايا المتعلقة بها، والتي كانت تناقش من قِبل الرجل. غدت المرأة صاحبة الإغراء متمثلةً بـ «حواء» المذنبة الأولى، لما آلَ إليه وضع الرجل.

ومن أجل أن تبدو المرأة ضعيفة فُرضت عليها قيود كثيرة من المجتمع، لتصبح أسيرة جدران بيتها، وتصير بذلك وسيلة المتعة التي خُلقت للرجل.

كذلك للقيام بالأعمال المنزلية، في الحقول والبساتين، وإنجاب الأطفال وتربيتهم. كل المراحل التي مرّت بها البشرية، وكل الأديان والمعتقدات والفلسفات لم تستطع أن تقف بشكلٍ جدّي وواضح على قضية المرأة، وقد تمّ التماس عدم النظر في أهمية وجود المرأة من خلال ما قاله أرسطو: «إن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يعتدُّ به». جان جاك روسو: «قدر الطبيعة بالنسبة للنساء أن يذعنَ بالطاعة للرجال». كل ذلك أدّى إلى انكفاء المرأة على ذاتها بشكل أكبر، لأن المجتمع استطاع أن يشلّ أي دور لها في كافة المجالات، بل تعدّى الأمر إلى أكثر من ذلك حين بات التعامل مع المرأة على أنّها «سلعة» تباع وتُشرى.

المرأة الأوروبية خلال الحرب العالمية الأولى والثانية

تعرضت المرأة الأوروبية لأشدّ صنوف الظلم والقهر، وكانت دائماً الضحية التي تُقدّم كقرابين من أجل إرضاء الرجل/ الإله. مورست هذه الأفعال في عهد الإمبراطوريات، وحتى العصور الوسطى، مروراً بعصر النهضة وعصر الثورة الصناعية التي كانت المرأة النواة الأساس لها كيد عاملة، وكان لكلا الحربين العالميتين الأولى والثانية أثرٌ كبيرٌ لتتوقف المرأة على نفسها بشكل مغاير للمراحل السابقة، فاستطاعت أن تقاوم بشراسة ضد الاضطهاد الذي كان يواجهها ويسلبها كافة حقوقها التي يجب أن تتمتع بها.

استطاعت المرأة الأوروبية من خلال مشاركتها النوعية في الحربين العالميتين الأولى والثانية أن تلفت الاهتمام إليها أكثر. فهي الأخرى وجدت نفسها مسؤولة عن الدفاع عن وطنها. وفي نفس الوقت عن ذاتها. هي قادرة على القيام بهذا الأمر. فمسألة الدفاع لا تقتصر على الرجال فقط. استطاعت أن تلج إلى أعمالٍ كانت تسلم باقتصارها على الرجل دونها، عملت في مجال المساعدة العسكرية والحركات السرية والاستخباراتية، وفي خطوط الإمداد والإسعافات، وشاركت في العمليات القتالية كمقاتلة في الجبهات. وقد ذكر «فرانسواز كربل» في مقال نشرته المجلة الدولية للصليب الأحمر

عام ١٩٨٥ تحت عنوان «حماية النساء في القانون الدولي»: «وصل عدد البريطانيات المشاركات ضمن الوحدات العسكرية النسوية التابعة للجيش الملكي الجوي، البحري والبري، إلى ٨٠ ألف امرأة. كما عوضت ٦٧,٨٧٧ امرأة النقص الذي ترتب على ذهاب الرجال إلى جبهات القتال» خلال حرب العالمية الأولى. وخلال الحرب العالمية الثانية ذكر المرجع ذاته أن مشاركة المرأة في الجيش الألماني بلغ قرابة المليون للعمل في مصانع الذخيرة، ٣٠٠,٠٠٠ امرأة ضمن الوحدات الاحتياطية للجيش الألماني، و١٣٠,٠٠٠ منهن ضمن سلاح البحرية. أما في إنكلترا، فبلغت المشاركة حوالي ٧,٧٥,٠٠٠ امرأة، ومع نهاية سنة ١٩٤٣ شكلت النساء ١٠% من تعداد الجيش الملكي، أي أن حوالي ٤٥٠,٠٠٠ امرأة انخرطن ضمن الوحدات العسكرية النسائية التابعة لكافة القوات، ونتج عن تلك الحروب ٦٢٤ قتيلة، ٩٨ مفقودة، ٧٤٤ جريحة و٢٠ أسيرة. أما في أمريكا فحتى عام ١٩٤٥ بلغ تعداد المشاركات ٢٦٢,٧٢٦ امرأة، منهن ٩٠ ألفاً ضمن الوحدات النسوية بالجيش، و٧٢ ألفاً ضمن الوحدات النسوية التابعة لسلاح الطيران. في الاتحاد السوفيتي شكلت النساء ٨% من تعداد أفراد القوات المسلحة للجيش الأحمر، وشاركت ما يقارب ٨٠٠,٠٠٠ امرأة ضمن القوات المسلحة و٢٠,٠٠٠ منهن ضمن حركات المقاومة المختلفة. أما النساء البولونيات فبالإضافة إلى مشاركتهن الواسعة ضمن الصفوف القتالة، فقد تقلدن أعلى الوظائف والرتب العسكرية في صفوف الجيش البولوني، وكان لحادثة استسلام مدينة فرسوفيا أمام القوات الألمانية أثرها في إبراز وجود ٤٩٩ ضابطة و٤١ ضابطة صف و٥٨١ جندية بين الأسرى المعتقلين.

قوانين تشمل المرأة

من خلال المشاركة الفعالة للمرأة في الحروب، تم سنّ قوانين خاصة بها، كذلك تمت معاملتها كأسيرة حرب إن هي وقعت في الأسر حسب أحكام الاتفاقية الثالثة لجنيف عام ١٩٤٩، فمن مجمل ١٤٣ مادة من مواد الاتفاقية الخاصة بمعاملة الأسرى، لم يتم التطرّق إلى معالجة وضع المرأة بشكل خاص إلّا من خلال ٩ مواد فقط، موزعة على كامل الاتفاقية.

بسبب مشاركة المرأة في العمليات القتالية أصبحت معنية بالاتفاقية الثالثة لجنيف ١٩٤٩، كذلك البروتوكول الملحق بالاتفاقيات الأربعة لسنة ١٩٧٧، وتم توضيح جميع الحالات التي تشارك فيها المرأة ضمن العمليات القتالية، من حمل السلاح والمشاركة في القتال، كذلك وقوعها في الأسر وكيفية التعامل معها، وتم أيضاً أخذ وضع المرأة التي لا تشارك في العمليات العسكرية بعين الاعتبار، بأن تتم معاملتها كمدنية.

نساء راندات في مجال الجاسوسية

- ماتا هاري، وهي الأشهر بين كل بنات جنسها، عملت «هاري» لصالح الألمان خلال الحرب العالمية الأولى راقصة هولندية شهيرة، وحوكمت بتهمة التجسس في ١٥ سبتمبر عام ١٩١٧، وهي في سن الـ٤١، وثبت أنها مذنبة، وتم إعدامها بالرصاص.

- نانسي وايك، من مواليد نيوزلاندا ١٩١٢، انضمت للمقاومة الفرنسية، وأصبحت تدير مجموعات «ماكيوس» التي تشنّ حرب عصابات ضد أفراد البوليس السري الألماني «جيستابو»، وأطلق عليها اسم «الفأر الأبيض».

- فيوليت رينيه، تولت مهمة تنظيم وإعادة شمل المقاومة الفرنسية في «نورماندي».

- إيثيل روزنبرج، أمريكية الأصل، انضمت إلى الحزب الشيوعي وعملت مع زوجها الذي كان يعمل لحساب السوفييت.

- ليز دي بيزك، فرت من باريس عام ١٩٤٠، وتطوعت في لندن للعمل مع «وحدة العمليات الخاصة».

- كريستين كيللير، عارضة أزياء بريطانية، جندتها المخابرات السوفيتية.

نساء قادرات على بناء المجتمع

لا يخفى على أحد ما قامت به النساء الألمانيات بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، من بناء وتعمير كفكرة من قبل «لويزا شرودر»، وجاء ذلك رداً على انتشار حالات الاغتصاب على يد الجيش الأحمر، بعد انتشار ظاهرة الانتحار بين السيدات، واستطعن خلال ٩ أشهر تكسير حطام ١٨مليون منزل، وتحويلها إلى ٧٥٠ ألف متر مكعب من التراب، جمعنها على هيئة جبال في كل أنحاء ألمانيا، واستمرت مرحلة البناء لمدة ١٠ سنوات، من عام ١٩٤٥ وحتى ١٩٥٥، في مرحلة عرفت باسم «نساء المباني المحطمة» أو «نساء الأنقاض».

على الرغم من أن المرأة هي المتضرر الأكبر، إلّا أنها لا تتوانى أبداً عن بناء مجتمعها والدفاع عنه لابدّ من مراجعة قضية المرأة وفق أسس تجعلها الشريكة الفعلية في كل مجالات الحياة، بدلاً من النداءات التي تطالب بمساواتها مع الرجل كنوع من التعاطف أو التكرّم عليها.

أشهر جاسوسات في التاريخ

من تاريخ الحركة النسوية في لبنان وسوريا

ـ ليلى الدخلي ـ

ترجمة إنعام شرف

عُرفت عشرينيات القرن الفائت بالاحتجاجات التي شاركت فيها النساء والرجال جنباً إلى جنب، ولا سيما خلال الثورة السورية الكبرى التي انطلقت من جبل العرب عام ١٩٢٥، كما وعُرفت بالتجمعات التي كانت تجري حول صياغة الدساتير وإرساء الحياة البرلمانية، والتفاوض على معاهدات التعاون مع سلطة الانتداب. وبين التسوية والمقاومة، بدأت بعض الهيكليات القديمة بالتفكك تدريجياً وأصبحت لكل طرف من الأطراف المختلفة استراتيجيته الخاصة لإيجاد مكان له في الدولة الجديدة. وقد طالت إعادة البناء هذه عالم المرأة الشامية، المختلف قليلاً عن عالم المرأة في أوروبا في تلك المرحلة، التي أخذت تحدد لنفسها مساحات من الحرية والتحرر والعمل إما بمفردها على العديد من الجبهات أو من خلال عمل مشترك مع الرجال، لفرض معايير مجتمعية جديدة. وبينما كان السياق الاستعماري يفرض هذا النوع المختلف من العلاقات بين الجنسين، كانت المفاهيم القومية تمنح النساء لوناً خاصاً.

الحركة النسوية في لبنان وسوريا عام ١٩٢٨

إرث حركة الصالونات الأدبية النسوية

كان العالم النسوي في أوائل القرن العشرين، في لبنان وسوريا، ينتظم في إطار من الصالونات الأدبية التي تجمع النساء من الأسر الحضرية الكبيرة، غالباً من الأديبات ومن الصحفيات في بعض الأحيان. مي زياده، اللبنانية المغتربة في مصر، تعتبر إحدى الشخصيات البارزة التي تركت أثراً كبيراً في الحركة النسوية في تلك الحقبة التاريخية، وكذلك ماري عجمي الدمشقية الأصل، التي أسست "العروس" أول مجلة نسائية سورية عام ١٩١٠، وكذلك الرابطة الأدبية الطليعية عام ١٩٢٢.

ولدت مي زياده عام ١٨٨٦ من أم فلسطينية وأب لبناني، وأصبحت معروفة عام ١٩٠٩ من خلال نشرها لرواية، مجهولة المؤلف، مهداة للشاعر الرومانسي لامارتين. وقد لاقت هذه الرواية على الفور نجاحاً غير مسبوق، وأثارت في المجتمع الأدبي العديد من التساؤلات حول هوية المؤلف، على الرغم من أنه كان مخفياً بشكل سيئ. ثم أصبحت ومنذ عام ١٩٠٩ صحفية واهتمت بتأليف الكتب حول النساء، مما ساهم في بناء سمعتها الأدبية في القاهرة، وفي إعلاء شأنها لتصبح إحدى شخصيات الحركة النسوية العربية المرموقة، وكسورية-لبنانية مسيحية، فإن صعودها

مي زيادة

لم يرتبط بشكل مباشر بصعود الحركة النسوية المصرية، القومية بقوة وبغالبية مسلمة. لكنها لم تتوان عن إظهار إعجابها بالناشطات المصريات، وكتابة قصصهن، سعياً منها قبل كل شيء لإعطاء المرأة مكاناً في عالم الثقافة والفنون. وأضحت واحدة من الرواد الذين كانوا يستخدمون سلاح الثقافة والشعر لنيل مكانة في هذا العالم، من خلال الكتابة في صحف القاهرة الكبرى وتحت أسماء مستعارة ومختلفة أولاً، ومن ثم تحت أسمائهم الأصلية. ومنذ عام ١٩١١، بدأت مي بعقد لقاءات أدبية كل يوم أربعاء في صالون منزلها، لتُعرف بعد ذلك باسم الأنسة مي. وفي منزلها، منزل هذه الصبية العازبة المسيحية، تجتمع أبرز شخصيات الأدب والثقافة والسياسة والفن في القاهرة.

واعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر، في القاهرة كما في دمشق، بدأت الفوارق بين الفضاء العام والفضاء الخاص بالانحسار تماماً. وهكذا أصبح منزل ماري عجمي الواقع في باب توما، الحي الدمشقي المسيحي، ملتقاً للشعراء والصحفيين والكتّاب المعروفين أو الأقل شهرةً. وداخل هذه الدائرة الاجتماعية المنغلقة والمقتصرة على بعض الشخصيات المتحدرة من الطبقة البرجوازية، أضحى من الممكن خرق قواعد اللياقة الاعتيادية لتتمكن المرأة "الجديدة" من فتح أبواب بيتها للرجال دون إحداث أي فضيحة أو المساس بكرامتها ومكانتها الاجتماعية. وما كان يحدث داخل

ماري عجمي

وداد سكاكيني

قاسم أمين

هذه الدائرة ليس إلاّ قراءة للنصوص والتعليق على مقالات الصحف والأحداث الجارية، والمضيفة هي التي تقرر الموضوعات وهي التي تقوم بإحياء النقاش حولها. وفي بعض الأحيان كان العزف على البيانو يصاحب هذه النقاشات.

وفي هذه المرحلة تضاعف عدد الدراسات حول دور المرأة في تحرر العالم العربي ويقظته ضد الانتداب وبات الكتّاب والمثقفون يشاركون في طرح القضية من خلال كتبهم ومقالاتهم وأيضاً وبطريقة مباشرة من خلال خطاباتهم ونقاشاتهم العلنية. وهكذا وفي الثالث والعشرين من شهر نيسان عام ١٩١٤، في نادي الشرق في القاهرة، تطالب مي زياده أمام الجمهور، الذكوري في غالبيته، بحق المرأة في التحرر وبحقها في العيش المشترك، لأن الحضارة، على حد تعبيرها، لا يمكن لها أن تكتمل إلاّ بإخراج المرأة من دائرة التهميش والتجاهل. وتعتمد في خطابها على مصادر مرجعية لفكتور هيغو الذي كان يناشد رجال النهضة اتباع المسار التحرري والمساواة بين الجنسين، ولا سيما أن القرن العشرين، بحسب هيغو، هو عصر المرأة بامتياز. وتختم مي مداخلتها بقولها: "وإلاّ ماذا يعني وجودي بينكم اليوم؟".

وهكذا خرجت الحركة النسوية من إطار الصالونات الأدبية لتفرض نفسها على الحيز العام ودخوله من أوسع أبوابه. ويشهد على ذلك، عدد المقالات والدراسات المعنية بقضية المرأة والتي بدأت بالظهور منذ الحرب العالمية الأولى وخلال المؤتمرات التي نظمتها الجمعيات النسوية أو تلك التي نُظمت من أجل المرأة في بدايات العشرينيات.

لكن هذه الحركة بقيت مقتصرة على النساء المثقفات والحضريات المتحدرات من الطبقة البرجوازية، مثل نظرائهن من الرجال المثقفين، الذين بنوا لأنفسهم مساراً خاصاً ومختلفاً خارج المعالم التقليدية. وهؤلاء النسوة كنّ يتميزن بالاستقلالية والثراء والمهنية وبمستوى عالٍ من التعليم، بالإضافة إلى العزوبية أو الترمل. وتمثل كل من ماري عجمي ومي زياده النموذج الأمثل لهذه المرأة المتحدرة من أصول برجوازية ثرية نسبياً ساعدتها في تحصيل تعليمها باللغتين العربية والانكليزية، وتحقيق استقلاليتها المادية كاملةً من خلال ممارستها لعملها.

الحركة النسوية القومية "الأمم هي الأمة"

لم يكن عالم الحركات النسوية العربية في هذه المرحلة يختلف عن نظيره في الغرب، بل كان العالمان يشتركان بقوة المطالبات بحق التصويت. وأصالة هذا العالم لم تكن مرتبطة بمسألة اندراجه في عالم ذي غالبية مسلمة، كما قد يتصور البعض، بقدر ما كانت مرتبطة بالتعبير عنها في سياق النضال ضد الانتداب والروابط القوية مع الحركة القومية التي تمجد الأمهات والزوجات وأرامل الذين قاتلوا من أجل تحرير الولايات العربية من الإمبراطورية العثمانية، والنساء اللاتي التزمن بمواصلة عملهن في تعليم النخبة الوطنية. وهذا ما أشار له عنوان الكتاب الكلاسيكي الذي يتناول هذا الجيل من النساء الناشطات، من تأليف واحدة منهنّ، وداد سكاكيني، نُشر في القاهرة عام ١٩٤٠ تحت عنوان "أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء".

مركزية المرأة في قضية الشهداء تفسر أهمية الخطاب "النسوي" الذي تبناه الرجل وعمل على نشره منذ نهاية القرن التاسع عشر. ونشر كتاب قاسم أمين عام ١٨٩٩ عن تحرير المرأة، والذي ابتدع فيه عبارة "النسائيات" لوصف الدراسات النسوية، ليس إلاّ تعبيراً صارخاً عن روح العصر الداعمة للحركة النسوية. يشتمل كتاب قاسم أمين على صياغة واضحة للأفكار الإصلاحية التقدمية التي تنادي بتحرير المرأة وتستند في مرجعيتها إلى نصوص وبراهين من الدين الإسلامي. ويشجب في نهايته الانتهاكات الممارسة ضد المرأة، الجنسية منها والتعسف وتعدد الزوجات، ويطالب بحق المرأة في التعليم. ويمثل هذا الكتاب أحد العناصر الأكثر وضوحاً من مجموعة العناصر التي ساهمت في اضطرابات عام ١٩٠٠، حيث أثار الكثير من الجدل وترافق مع حركة قادتها مجموعة من النساء اللاتي كنّ يكتبن ويتلقين ويعبرن عن آرائهن بحياتهن الخاصة وبمسارهن الثقافي والاجتماعي. كما ومهد الكتاب لبناء تحالف بين النخبة الذكورية، الدينية والعلمانية والأصوات النسوية المتنوعة. وتحول مفهوم النسوية إلى موضوع العصر، يتم تناوله في أي مناسبة، محاضرات، خطابات،

جدل وشعر، إلخ. والمرأة أو القضية النسوية أصبحت بالتالي وسيلةً فعالة لشجب قبضة القوى التقليدية على المجتمع. كما وأصبحت المرأة الشخصية الرئيسية في الروايات الوطنية، لا بل والقومية.

الجيل النسوي الجديد

زخم الجيل النسوي الأول تبخر للأسف مع نهايات العشرينيات. ورائدات هذه المرحلة، مثل ماري عجمي وجوليا الدمشقية ونازك العبيد، انطوين على جمعياتهن وتفرغن للتعليم. شاركن في الثورة ضد الانتداب الفرنسي بين عامي ١٩٢٥- ١٩٢٦ ونجحن في تجميع ما يزيد عن ٤٠٠٠ امرأة في دمشق للمطالبة بإيقاف القصف. وقمن كذلك بتنظيم العديد من التجمعات، لا سيما في بيروت وحلب.

لكن وفي المقابل، كل ما كان تم من أنشطة تتعلق بتشكيل الحكومة الوطنية وإعادة تفعيل الحياة البرلمانية وصياغة الدستور، كان يتم بمعزل عن المرأة ومن دون حضورها أو مشاركتها. لتدخل المرأة هنا في مرحلة التهميش المطلق. والانتداب الفرنسي لا يجيز بدوره في الثلاثينيات الاعتراف بالنخب المحلية. وهذا ما أظهرته نسبة نفاذ الجبهة الوطنية في سوريا والدستوريين في لبنان إلى السلطة، مما أدى إلى تهميش القوميين الراديكاليين الذين قامت فرنسا بنفيهم نتيجة مشاركتهم في ثورة ١٩٢٥-١٩٢٦. أما النساء فلم يُسمع لهنّ أي صوت. وجلّ ما حصلن عليه هو قطاع التعليم.

لقد شكلت هذه المرحلة، على الصعيد الثقافي والفكري، انطلاقة لجيل نسوي جديد يأخذ على عاتقه متابعة ما بدأ به الجيل السابق ولكن مع فارق عدم التركيز على البعد القومي وإنما التركيز أكثر على البعد الاجتماعي. وهنا أخذت الجمعيات النسوية بالعمل على إيجاد صيغ لتوحيد الجهود من خلال الاتحادات وتوجيه الاهتمام في أنشطتها نحو واقع وحياة النساء ونحو وضعهن الاجتماعي كمحو الأمية أو النفاذ إلى الحيز العام. وهي أيضاً نفس المرحلة التي وجدت فيها بعض الإيديولوجيات الساندة والمرتبطة بالكفاح الوطني نفسها مهمشة بالكامل. في حين أن المسلمين الإصلاحيين وخلال سعيهم وجهودهم الرامية لبناء "التنوير الإسلامي" وقعوا في تناقضات عقائدية وفكرية وسياسية حداثوية.

وبينما كان الفضاء السياسي آخذاً بالانفصال عن هذه القضايا، بدأت الصحف في العشرينيات والثلاثينيات بتكريس حيز جديد للقضايا النسوية. وذلك من خلال إنشاء صفحات مخصصة للنساء. وفي مقابل القضايا المتعلقة بالنواحي السياسية والحقوق المدنية والزواج وانتقال السلطة من الأب إلى الزوج، التي بقيت في حيز الموضوعات التي لا يتم التطرق إليها إلاّ فيما ندر. تم وضع بعض القضايا الاجتماعية الأخرى في المقدمة، كالزواج ولا سيما سن الزواج، والنفاذ إلى أماكن الترفيه والسينما والمسرح والملابس والموضة. قد تبدو هذه المواضيع تافهة، لكنها كانت تشكل فرصة للتعبير عن المطالب الأساسية. فعرض مجموعات الملابس الجديدة يؤدي إلى طرح النقاش حول "الفتيات" في صفحات الجرائد. وأخذت النقاشات تركز أكثر فأكثر على المرأة المسلمة. وهذا التركيز ليس بالجديد. فسياسة الانتداب القائمة على التقسيم الطائفي والمناطقي ساهمت في تعزيز خصوصية وضع النساء المسلمات. ونتيجةً لهذا التصنيف الفنوي النابع من الثقافة الاستعمارية. ومن سياسة المرحلة، أصبحت المسلمات يشكل موضوعاً تتم إثارته على مدار الساعة في المدرسة الاجتماعية المولودة في سوريا في فترة ما بين الحربين.

ولادة الحركة النسوية المسلمة

منفردةً بفرض صوتها، نظيرة زين الدين ومن خلال كتابها المنشور عام ١٩٢٨ حول الإرادة السياسية في فرض الحجاب، والذي أثار الكثير من الجدل في الأوساط الثقافية والأدبية في كل من سوريا ولبنان، تفتح طريقاً جديداً أمام الكفاح النسوي وتؤسس لحركة نسوية مسلمة سمحاء وحداثوية، ربما هي الوحيدة التي قامت بالربط وبوضوح بين الحاجة إلى تحرر المرأة الفردي وإمكانية تنفيذ تعاليم القرآن بطريقة مستنيرة وعصرية، وكرائدة من رائدات الحركات النسوية وواحدة من دعاة الإسلام الإصلاحي، تعتبر ربما الممثل الأخير لتيار التوافق بين النهضة والإصلاح، وحول كتابها، وتحديداً في سياق الكتابة والنشر، تبدأ المعارضات، الكسور الفكرية والسياسية الجديدة بالتبلور، حتى إن مسألة الحجاب، التي لم يكن لها وجود في العقود السابقة، تصبح "المسألة الاجتماعية"، والتحدي النضالي المناهض للإمبريالية، قد يفسر هذا الوضع التاريخي الطبيعة الانفرادية لمحاولة نظيرة زين الدين، وعلى الرغم من قراءته والتعليق عليه، فإنه لا يزال وسيبقى للأجيال القادمة نقطة تحول فكري عميق ودعوة صريحة للمرأة إلى التحرر في الإيمان.

المصدر: CAIRN.INFO

http://www.cairn.info/zen.php?ID_ARTICLE=LMS_231_0123

خطوتان للأمام وخطوة للخلف

تحرر المرأة في مصر.. المسار الصعب

مها مصطفى - القاهرة

«التاريخ يمكن أن يرتد ويتراجع بمثل ما يتقدم ويسير للأمام». حقيقة قالها ببساطة ووضوح المؤرخ ثيودور زيلدن، ومر الزمان بنساء مصر ليثبت صحة تلك المقولة. فبعد المساواة المطلقة، وربما الوضع المميز للرجل في العصر الفرعوني القديم، مرت على المرأة في مصر عصور رجعت بها إلى ما يمكن وصفه بـ«ما قبل التاريخ»، لترزح تحت وطأة القهر والظلم وإنكار الحقوق كبيرها وصغيرها. ففي مصر الفرعونية كانت المساواة الحقيقية هي الأساس، الآلهات كان لهن دور مساوٍ للآلهة. واسألوا إيزيس وهاتور وغيرهما.

يجزم كثير من الباحثين بأن أهمية تلك الربات تعكس أهمية وضع المرأة في المجتمع في ذلك الزمان بشكل عام. دليل آخر هو الملكات اللاتي حكمن مصر، من حتشبسوت لنفرتيتي ونفرتاري وكليوباترا.. هذا إلى جانب النماذج الشهيرة للأعمال الفنية لتلك الحقبة، التي تشهد للمرأة المرسومة والمنقوشة على الجدران دائماً إلى جانب الرجل وبنفس الحجم في معظم الأحيان، على الأقل حتى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، عندما بدأ رسم المرأة بحجم أصغر قليلاً من الرجل، وربما كان ذلك علامة على بدء التدهور في وضعها.

توالت سيطرة الاحتلالات الأجنبية على مصر، بداية من السيطرة الرومانية المبكرة، مروراً بالغزو العربي في القرن السابع، ثم تحولها إلى جزء من الإمبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر، لكن لم تخلُ مراحل التدهور من بعض نقاط ضوء، فهناك مثلاً شجرة الدر في زمن المماليك في مصر، والتي أخفت خبر موت زوجها الصالح نجم الدين أيوب في حربه مع الصليبيين، وأدارت الحرب، بل وانتصرت فيها.

لكن مع الغزو الفرنسي عام ١٧٩٨ بدأ وضع المرأة في المجتمع يتغير، وبدأ المجتمع نفسه يتغير، فالحملة الفرنسية بقيادة نابليون كانت لها تأثيرات متعددة على مصر، حيث تدفقت الأفكار الأوروبية إلى المجتمع المصري بسرعة، بما فيها فكر الثورة الفرنسية، وتزوج بعض الضباط الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام من نساء مصريات، وبدأت النساء المصريات يقلدن الفرنسيات في السلوك والملبس، لكن ذلك لم يكن مقبولاً على إطلاقه من جانب المجتمع المصري، فقد استنكره الكثيرون، ما أدى إلى ردود فعل معارضة قوية، فنجد الجبرتي يأتي على ذكر «التقلبعات والفساد الذي حل بالنساء بسبب الاحتلال الفرنسي».

باشيم عفت هانم

اسماعيل باشا

وبعد رحيل الفرنسيين عن مصر، تولى الجنرال الألباني محمد علي مقاليد الحكم، وذلك عام ١٨٠٥، معيناً من قبل السلطان العثماني، وفي فترة حكمه توالت حركات الإصلاح والتحديث وتطوير التعليم، وتطور تعليم المرأة بشكل خاص، حيث كانت الطبقات العليا من المجتمع تسمح للفتيات بتلقي التعليم في البيوت، بينما سُمح للفتيات من الطبقات الفقيرة بالذهاب إلى الكتاب، ليتعلمن القرآن إلى جانب القراءة والكتابة. في عام ١٨٣٢ تقدم محمد علي خطوة أخرى ببناء مدرسة تتعلم فيها الفتيات والنساء مهنة القبالة.

ثم جاء إسماعيل باشا في الفترة من ١٨٣٠ وحتى ١٨٩٥ بالمزيد من التطوير للمرأة، إذ افتتحت زوجته الثالثة «باشيم عفت هانم» مدرسة للفتيات، تعلمهن مختلف المواد الدراسية، من التاريخ للدين والرياضيات، لكن الهدف من التعليم المحدود اقتصر على تهيئة الفتاة لتكون أماً صالحة، ولم تستفد منه سوى فتيات ونساء الطبقة البرجوازية من المجتمع.

ومع تدهور الأوضاع الاقتصادية لمصر في عهد الخديوي إسماعيل، والتدخل الأجنبي ممثلاً في الحماية البريطانية على مصر في ١٨٨٢، ظهرت حركة المعارضة ضد الاحتلال، وتوسعت لتظهر الحركة الوطنية المصرية، ومعها حركة الإصلاح والنسوية.

وقد شهد مطلع القرن العشرين تنامياً للوعي الوطني، وكان المطلب الذي سرعان ما مثّل الحل الوحيد في مواجهة الاحتلال الأجنبي هو «الاستقلال الوطني».

بدأت الاحتجاجات تظهر وتتزايد في المجتمع المصري، ومعها مطالبات بالإصلاح، فمنذ نهاية

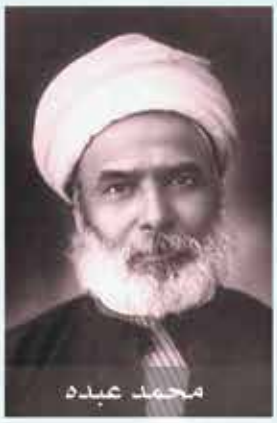
محمد عبده

قاسم امين

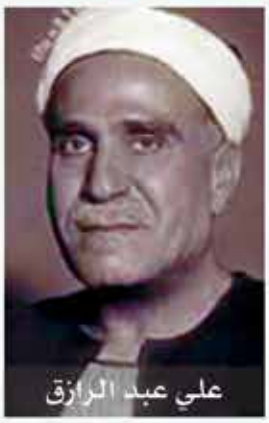
علي عبد الرازق

مصطفى كامل

سعد زغلول

القرن التاسع عشر أعلن الوطنيون المصريون أنه لا أمل في تحسّن الأوضاع ما لم يتحسّن وضع المرأة.

بدأت دعاوى السماح بعمل وخروج وتعليم المرأة تعود للحياة، مع كتابات الشيخ رفاعة الطهطاوي (العائد من البعثة التعليمية من باريس)، والشيخ محمد عبده مفتي مصر، وقاسم أمين والشيخ علي عبدالرازق.

في أوائل القرن العشرين أسست مجموعة من النساء المصريات الرابطة الفكرية للنساء، وفي عام ١٩٠٧ حين أسس مصطفى كامل الحزب الوطني، شاركت المرأة المصرية في عضويته وأنشطته، إلا أن هذه العضوية ظلت غير رسمية. في عام ١٩٠٨ شاركت المرأة في التوقيع على العريضة التي قدمها الحزب الوطني للخديوي، للمطالبة بإنشاء مجلس نيابي. وفي عام ١٩١٠ مثلت السيدة انشراح شوقي المرأة المصرية في المؤتمر الدولي الذي عقد في بروكسل، من أجل تأييد حق مصر في الاستقلال.

ولا ننسى هنا نبوية موسى إحدى رندات التعليم والعمل الاجتماعي خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث تولت نظارة المدرسة المحمدية الابتدائية للبنات بالفيوم عام ١٩٠٩، وكانت أول ناظرة مصرية لمدرسة ابتدائية. قامت بإنشاء مطبعة ومجلة أسبوعية نسائية باسم «الفتاة»، صدر العدد الأول منها عام ١٩٣٧.

وجاءت مرحلة النضال الوطني بعد أن قام الإنجليز بنفي «سعد زغلول» زعيم حزب الوفد في مارس ١٩١٩، فخرج المصريون في تظاهرات ضدهم في أول ثورة مصرية في التاريخ الحديث.

وبدأ نضال المرأة منذ اليوم الأول، إذ تصدرت «هدى هانم شعراوي»، زوجة علي شعراوي باشا، تصدرت الثلاثة اللواتي قابلن المندوب السامي، مطالبات بالاستقلال في مظاهرة نسائية صباح العشرين من آذار/مارس، في سياق الاحتجاج على اعتقال سعد زغلول باشا، محمد محمود باشا، حمد الباسل باشا وإسماعيل صدقي باشا، ونفيهم إلى جزيرة مالطة.

كانت تلك المظاهرة هي الأولى، وسرعان ما لحقتها غيرها من المظاهرات النسائية، انتقلت عدواها من الطبقة الأرستقراطية إلى شرائح الطبقة الوسطى، ومنها إلى نساء الطبقة العاملة، اللاتي سقطت منهن شهيدات في ثورة ١٩١٩، يومها كتب شاعر النيل «حافظ إبراهيم» يصف المشهد قائلاً:

خَرَجَ الغواني يحتججن ورحتُ أرقب جمعهنّ..
فإذا بهن تـخذن من سـودِ الثيابِ شـعارهنّ..
وأخذن يجتزن الطـريق، ودارُ سعدٍ قصدُهن..
يمشـين في كنفِ الوقـار وقد أبَنَّ شـعورهنّ..
وإذا الجنـودُ سيوفُها قد صُوِّبَتْ لنحـورهنّ..

ثم خرجت النساء بأعداد أكبر في مظاهرات حاشدة، تعبيراً عن الاحتجاج على ما أصاب الأبرياء من القتل والتنكيل في المظاهرات السابقة.

ويحكي الأديب المصري الشهير وقتها «محمود صادق الرافعي» عن تلك المظاهرة: «خرجت المتظاهرات في حشمة ووقار، وعددهن يربو على الثلاثمائة من كرام العائلات، وأعددن احتجاجاً مكتوباً ليقدّمنه إلى معتمدي الدول، طالبن فيه بإبلاغ احتجاجهن على الأعمال الوحشية التي قوبلت بها الأمة المصرية، لكن الجنود الإنجليز لم يمكّنوا موكبهن من العبور، فحين وصلت المتظاهرات إلى شارع سعد زغلول (ضريح سعد زغلول حالياً)، قاصدات بيت الأمة، ضربوا نطاقاً حولهن ومنعوهن من السير، وسددوا حرابهم إلى صدورهن، وبقين هكذا مدة ساعتين تحت وهج الشمس الحارقة، حتى تقدمت هدى شعراوي وهي تحمل العلم المصري إلى جندي، وقالت له بالإنجليزية: «نحن لا نهاب الموت، أطلق بندقيتك إلى صدري لتجعلني مس كافيل أخرى»، فخجل الجندي، وتنحى للسيدات عن الطريق وسمح لهن بالعبور، و«مس كافيل» ممرضة إنجليزية، أسرها الألمان في الحرب العالمية الأولى وأعدموها رمياً بالرصاص، وكانت لمقتلها ضجة كبيرة في العالم. وقد كانت تلك المظاهرات تحديداً هي السبب وراء إطلاق اسم ميدان التحرير على الميدان الواقع وسط القاهرة، والذي يحتفظ بهذا الاسم إلى اليوم، وكان اسمه قبلها ميدان الإسماعيلية، نسبة للخديوي إسماعيل.

هدى شعراوي

وكانت أول شهيدتين في هذه الثورة هما «حميدة خليل» و«شفيقة محمد». وفي عام ١٩٢٠ تم تشكيل لجنة الوفد المركزية للسيدات، نسبة لحزب الوفد بزعامة سعد زغلول، وانتخبت السيدة هدى شعراوي رئيساً لها.

ومن الأسماء التي وقّعت على أول بيان احتجاجي نسائي، وفضلن الانتساب إلى الزوج أو الأب «الآنسة كريمة محمود سامي البارودي»، ابنة محمود سامي البارودي، باستثناء هدى شعراوي التي آثرت أن تذكر اسمها مقروناً بـ«حرم علي شعراوي»، أما «صفية زغلول»، فوقعت باسم «حرم سعد زغلول باشا».

محمود سامي البارودي

البارودي

صفية زغلول

ويكاد يجمع المؤرخون على أن السيدة صفية زغلول واحدة من أبرز الشخصيات التي أسهمت بشكل كبير في إشعال الثورة، فقد شاركت في تكوين هيئة وفدية من النساء عام ١٩١٩، بهدف تحقيق المطالب القومية للمرأة المصرية. وفي ديسمبر/كانون الأول من نفس العام اجتمع عدد كبير من نساء مصر في الكاتدرائية المرقصية، وقدّمن احتجاجاً شديد اللهجة على ما كان يجري من قبل سلطات الاحتلال. وفي مارس ١٩٢٠ اجتمعت السيدات في منزل سعد زغلول، وألهبت «أم المصريين» (كما كان يطلق على صفية زغلول)، حماس السيدات، فأكدن مطالبهن القومية، التي كان على رأسها تعليم المرأة حتى مرحلة الجامعة، السماح لها بالانخراط في العمل السياسي، تكوين الأحزاب والإسهام في دفع عملية التنمية والإصلاح.

وقد ألّفت السيدة منيرة ثابت كتاب «الحقوق السياسية للمرأة»، انتقدت فيه دستور ١٩٢٣، الذي حرم المرأة من حقوقها السياسية، كما رفعت دعوى ضد مجلس الوزراء الذي حرمها من حقها في ممارسة العمل السياسي.

وقد بدأت المرحلة الأولى من الحركة النسوية المصرية بين عامي ١٩٢٩ و١٩٣٩، حيث تشكل الاتحاد النسائي المصري على يد هدى شعراوي، ومن خلاله شاركت في مؤتمر نسائي في روما، وعند عودتها من روما مع «نبوية موسى» و«سيزا نبراوي»، أثارت هدى شعراوي غضب السلطات المصرية بقيامها بإلقاء نقابها في البحر.

اهتم الاتحاد النسائي المصري بالتعليم والرفاهية الاجتماعية، وكذلك بتغيير القانون الخاص بما يحقق المساواة بين المرأة والرجل، والنظر إلى مشكلات كالفقر والأمية وسوء الحالة الصحية، ليس كنتائج مباشرة للبناء الاجتماعي الاقتصادي، وإنما نتيجة إهمال الدولة لمسؤوليتها تجاه الشعب، وكان التعبير الواضح عن تلك

درية شفيق

هدى شعراوي

الأفكار من خلال الجريدة النسائية التي أصدرها الاتحاد، والتي حملت اسم «المصرية»، ونشرت باللغة الفرنسية.

شملت القضايا التي أثارتها الجريدة الحديث عن الإصلاحات التركية فيما يتعلق بالمرأة والإسلام، فقد كتبت سيزا نبراوي (محررة الجريدة في عام ١٩٢٧) تقول: «نحن النساء المصريات نحترم الدين بشدة، ونريد أن تتم ممارسته بروحه الحقيقية»، وصدرت جريدة أخرى بتاريخ ١٩٣٧ حملت اسم «المصرية».

ورغم أن دستور ١٩٢٤ جاء بتعديلات فيما يخص وضع المرأة، مثل رفع سن الزواج للفتيات إلى سن السادسة عشر، فإن قضية الحقوق السياسية للمرأة ظلت طي التجاهل، ومعها الحق في الحصول على الطلاق ورفض تعدد الزوجات، ففي عام ١٩٣٥ عندما ألقت هدى شعراوي محاضرة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ودعت فيها إلى رفض تعدد الزوجات، احتج ضدها شيوخ من الأزهر.

خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩_ ١٩٤٥ اشتركت المرأة المصرية في التنظيمات والجمعيات التي ظهرت خلال هذه الفترة، وكان اشتراكها في منظمات مستقلة مثل «جمعية الأخوات المسلمات» و«الحزب النسائي الوطني»، الذي نص برنامجه على مساواة المرأة بالرجل، والنهوض بمستواها الأدبي والاجتماعي، وحصول المرأة على حقوقها السياسية والاجتماعية وحق الانتخاب والتمثيل النيابي. وتم تأسيس أول حزب سياسي للمرأة تحت اسم «الحزب النسائي المصري» عام ١٩٤٢ برئاسة «فاطمة نعمت راشد»، طالب بمنح المرأة كافة حقوقها السياسية والاجتماعية، وبحقها في الانتخابات والترشح في المجالس النيابية.

وتكونت لجان نسائية مثل «دار الأبحاث العلمية» و«لجنة نشر الثقافة الحديثة»، كما شهدت هذه الفترة تكوين اتحاد «بنت النيل» ١٩٤٧ برئاسة الدكتورة «درية شفيق»، ونص برنامجه على رفع مستوى الأسرة المصرية، بمنح المرأة حق الانتخاب والنيابة لتدافع عن حقوقها وتساهم في إصدار تشريع يكفل صيانة هذه الحقوق.

وهكذا ظل تاريخ المرأة في مصر يتقدم بدرجات متفاوتة حتى ثورة ١٩٥٢ وانتهاء الاحتلال البريطاني، لكنه لم يخلُ دائماً من كبوات وعثرات، ربما لاتزال تظهر في طريقها حتى اليوم.

المرأة العربية في طريق التحرر

من صنع القنابل والموت نسفاً إلى النضال السلمي

سلام مختار

منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية ظهور الحركات التحررية في العالم العربي، كانت المرأة العربية شريكاً أساسياً في موجة التحرر على مستوياته المختلفة، بدءاً بالنضال من أجل التحرر من الاستعمار، مروراً بالنضال من أجل التحرر من سلطة الأب والحاكم، وصولاً إلى التحرر الشخصي على مستوى الأفكار والوعي. فلم تكن الفدائيات الفلسطينيات وحدهن من ضحين بحياتهن في عمليات فدائية، وتفانين في العمل السلمي للمطالبة بالاستقلال. فقد خاضت المرأة في مختلف أقطار الوطن العربي هذا النضال بروح مخلصة ومقاتلة.

جميلة بوحيرد

نجوى مكاوي

حسيبة بوعلي

نعمة الجرادي

مريم بوعتورة

وريدة مداد

في الجزائر شاركت المناضلة "حسيبة بن بوعلي" المولودة عام ١٩٣٨، في فوج الفدائيين المكلفين بصنع ونقل القنابل، واستغلت وظيفتها بمستشفى مصطفى باشا للحصول على مواد كيميائية تساعد في صنع المتفجرات، حيث كان لها، برفقة زملائها، دور كبير في إشعال فتيل معركة الجزائر، خاصة بعد التحاقها بالفدائيين بحي القصبة، واضطرارها للخروج من بلدتها متخفية بعد اكتشاف أمرها، وتخفيها في بلدة أخرى، إلى أن علم الاحتلال بمكان اختفائها وقام بنسف المبنى، لتلاقي حتفها في ٨ أكتوبر عام ١٩٥٧، بعد أن رفضت تسليم نفسها.

ولم تكن بطولات الجزائرية "وريدة مداد" أقل من بطولات "حسيبة بن بوعلي"، هما المولدتان في نفس العام ١٩٣٨، فقد التحقت وريدة بصفوف المجاهدين بجبهة التحرير الوطني، وأرعبت الجنود الفرنسيين في العاصمة الجزائرية إلى أن تم القبض عليها وتعذيبها ورميها من شرفة أحد الأبنية، لتلاقي حتفها، كان ذلك في آب ١٩٥٧.

وكأن سلسلة نضال الفدائيات الجزائريات حتمت عليهن أن يمتن تحت التعذيب أو نسفاً، قبل أن يتجاوزن الثلاثين من أعمارهن، حيث خاضت "مريم بوعتورة" طريق ومصير رفيقاتها في النضال، بعدما التحقت بالثورة الجزائرية، ونفذت عمليات فدائية في صفوف الجيش الفرنسي، إلى أن تم الكشف عنها ومحاصرتها، فقام الجيش الفرنسي بنسف منزلها وهي بداخله لتلقى حتفها في حزيران عام ١٩٦٠.

لم يكن ذلك المصير رادعاً للمناضلات الجزائريات عن التطوع والنضال ضد الاستعمار، فقد برزت أسماء أخرى بنفس أعمارهن في العمليات الفدائية، كالمناضلة "جميلة بو حيرد" التي انضمت إلى صفوف الثورة الجزائرية دوناً عن إخوتها الذكور وهم ستة، كانت لا تزال تلميذة عام ١٩٥٦، وكانت تقوم بنقل الأسلحة وتوزيع القنابل والعبوات الناسفة في الأماكن التي يرتادها المستعمرون، كما عملت مسؤولة ارتباط مع القائد "سعدي ياسف"، وأصبحت من أكثر المطلوبين من قبل الاستعمار الفرنسي، الذي تمكن من إصابتها برصاصة في الكتف، والقاء القبض عليها، في المستشفى تعرضت لأشد أنواع التعذيب، وذلك بالصعق الكهربائي مدة ثلاثة أيام، لحملها على الاعتراف بأسماء زملائها، لكن ذلك لم يجد، فتقررت محاكمتها صورياً وحكم عليها بالإعدام، قالت مقولتها الشهيرة: "أعرف أنكم سوف تحكمون علي بالإعدام، ولكن لا تنسوا أنكم بقتلي تغتالون الحرية في بلدكم، لن تمنعوا الجزائر من أن تصبح حرة مستقلة، وهذا اليوم هو أجمل أيام حياتي، لأني سأموت من أجل استقلال بلادي الجزائر"، تطوع للدفاع عنها المحامي الفرنسي "جاك فيرجيس" وضغط من خلال الرأي العام العالمي على المحكمة الفرنسية لإلغاء حكم الإعدام، وبعد ست سنوات من الاعتقال تم الافراج عنها في أعقاب "اتفاقية إيفيان"، بعد الاستقلال تولت جميلة بوحيرد رئاسة اتحاد المرأة الجزائرية، وخاضت في سبيل هذا الاتحاد نضالاً من نوع آخر، لتثبيت القرارات الخاصة بالاتحاد، إذ إنها لم تكن على وفاق مع الرئيس الجزائري الأسبق "أحمد بن بلة".

في اليمن كان النضال المسلح سمة نشاط اليمنيات في بداية القرن التاسع عشر، كنظيراتهن في الجزائر. ففي الثلاثينيات كانت الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل أول تنظيم سياسي يفسح المجال أمام المرأة اليمنية للمشاركة في الكفاح المسلح، بلغ عدد النساء المنتميات للتنظيم خلال فترة الستينيات حوالي ٢٠٠ امرأة، منهن زهرة هبة الله، عائدة علي سعيد، فتحية باسنيد، نجوى مكاوي وغيرهن. وقد عملن على كسب عناصر نسائية مؤمنة ومناصرة للكفاح المسلح، وتكوين خلايا وحلقات لعبت دوراً أساسياً في نجاح ثورة أكتوبر، وصولاً إلى تحرير الجنوب اليمني المحتل.

وفي أثناء ثورة أكتوبر اليمنية، أوكلت للمرأة اليمنية مهمات عديدة، منها: إعداد المنشورات وتوزيعها، إذاعة أخبار العمليات الفدائية، التحريض على القيام بالمظاهرات، إخفاء الأسلحة والمرور بها من نقاط تفتيش القوات البريطانية وإيواء الثوار المطلوبين من المستعمر. وعندما تعرضت الجبهة القومية لأزمة مالية، تبرعت الموظفات بربع رواتبهن لحل هذه الأزمة. ولم تقف مشاركة المرأة اليمنية عند هذا الحد، فكانت مع المناضلين وشاركت في العمليات الفدائية.

سقطت في معارك الاستقلال الشهيدة "خديجة الحوشبية" برصاص الإنجليز، والمناضلة "دعرة بنت سعيد" التي حملت السلاح وقاتلت جنباً إلى جنب مع الرجال، و"نجوى مكاوي" التي قادت دبابة بريطانية يوم سقوط مدينة كريتر في ٢٠ حزيران ١٩٦٧، واعتقلت مع زميلتها "فوزية جعفر"، بينما حاصرت القوات البريطانية كلاً من عائدة يافعي، زهرة هبة الله وأنيسة الصانع داخل مسجد الزعفران، عندما كن يوزعن المنشورات.

أما في مصر، فلم تقتصر أعداد المناضلات والناشطات منذ بداية القرن التاسع عشر على العشرات، بل تجاوزته بكثير، لكن نضالهن اتخذ الطابع السلمي في الاحتجاج، فقد وقفت المرأة في الصفوف الأولى في التظاهرات ضد الاستعمار الإنجليزي، ولم تتوانَ الطالبات المصريات عن المشاركة في الاحتجاجات الطلابية ضد الاستعمار، سواء في المدارس أو الجامعات.

بدأت التظاهرات النسائية في مصر مطلع القرن التاسع عشر، إثر ثورة ١٩١٩ بقيادة المناضلة "صفية زغلول"، التي كانت على رأس تظاهرة نسائية خرجت ضد الاستعمار البريطاني، لقبها المصريون بـ "أم المصريين" حين أعلنت أنها أم لكل المتظاهرين الذين يواجهون الاستعمار بصدور مفتوحة للرصاص. وقد أطلق اسمها على عدد من المدارس والشوارع في مصر، تخليداً لدورها في تأجيج فكرة النضال السياسي النسوي.

وقامت بالإشراف عليها لحشد وتنظيم مشاركة المرأة المصرية في التظاهرات، وكانت مع سيزا نبراوي وصفية زغلول أول من رفعن البرقع (النقاب والذي كان عادة شائعة في ذلك الوقت) علانية أمام الناس. شغلت هدى شعراوي منصب رئيس الاتحاد النسائي العربي، وقامت بعقد أول مؤتمر نسوي عربي عام ١٩٤٤، حضرت فيه مندوبات عن الأقطار العربية، اتخذت فيه عدة قرارات ساهمت بشكل أساسي في وضع قواعد النضال النسوي في العالم العربي، أهمها المطالبة بالمساواة في الحقوق السياسية مع الرجل، وعلى الأخص الانتخاب.

بإمكاننا القول إن دور المرأة في تلك الفترة التاريخية كان على مستوى عالٍ من الوعي السياسي، الفكري والنضالي، فقد قدمت الكثير

شاركت صفية زغلول في النضال منذ بداية ثورة ١٩١٩ الناشطة هدى شعراوي، التي كانت من قيادات الصف الأول في التظاهرات، وأسست "لجنة الوفد المركزية للسيدات".

من التضحيات وأثبتت أن بإمكانها إثبات نفسها في النضال السلمي والكفاح المسلح، وقيادة حركات نسوية، ساهمت في إحداث وعي سياسي عند المرأة في كافة الدول العربية.

إشعاع التونسيات بفضل نضالهن وبالقوانين التشريعية

صوفية الهمامي . تونس

تعد مجلة الأحوال الشخصية أهم مكسب قانوني وحقوقي للمرأة التونسية منذ إصدارها بُعيد الاستقلال في ١٣ آب ١٩٥٦، إذ مثلت خلاصة اجتهاد فقهي جمع بين تعاليم الإسلام ومقتضيات الحداثة.

لقد تميزت المرأة التونسية في كل جوانب الحياة، فهي قوية، تستمد قوتها من حياة القرية والريف والجبال الشاهقات، كما أن المجتمع التونسي القديم معتاد على دور المرأة الحاكمة، ومن بين الأسباب تركيبة القبيلة في شمال أفريقيا، وخاصة في تونس، فالمرأة التونسية انخرطت منذ الثلاثينات في التعليم، لتصبح ظاهرة الذهاب إلى المدرسة ظاهرة عادية في الأربعينات، ومن ثم الدخول في الفضاء الاجتماعي.

كما كان للمرأة التونسية حضورها الطاغي في مسيرة القضية الوطنية ومعركة التحرير، بمشاركتها في الأنشطة النضالية للحزب الحر الدستوري من مواقع قاعدية ميدانية، بنشر الروح الوطنية، نقل الأسلحة والمراسلات، إحضار المؤونة وتوفير حاجيات المقاومين والمساجين.

كما شاركت التونسيات أيضاً في المظاهرات، وتعرضن أحياناً للاعتقال، ولا سيما في مظاهرة المكنين بالساحل في ٥ سبتمبر ١٩٣٤، وفي التجمع الذي نظمه الحزب الحر الدستوري الجديد بالعاصمة في ١١ تموز ١٩٣٧، وكذلك في تظاهرة ٨ نيسان ١٩٣٨. وكنّ حاضرات في أحداث يوم ٩ نيسان ١٩٣٨ في تلاحم الجماهير المطالبة ببرلمان تونسي ضد قوات الاستعمار.

في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ طالبت مجموعة من البنات المقيم العام الفرنسي بإطلاق سراح المعتقلين الوطنيين، ويوم ٣ كانون الثاني ١٩٣٩ طالبت مجموعة نسائية أخرى رئيس الوزراء الفرنسي (حين كان يؤدي

زيارة لتونس) بإطلاق سراح الموقوفين، وقد كلفهن ذلك السجن.

في ١٣ تموز ١٩٤٦ شاركت النساء في زرمدين بالساحل الفلاقة في الهجوم على مركز الشرطة ودار القائد.

في عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ ساهمت نساء تونسيات في حملات المساندة لفلسطين، وتظاهرن في مسيرات من أجل السلم. ومن بين النساء اللاتي انتفضن ضدّ أمية المرأة وعزلتها «منوبية الورتاني» التي طالبت سنة ١٩٢٤ بتحرير المرأة التونسية، و«حبيبة منشاري» التي تجرّأت سنة ١٩٢٩ على المطالبة بإلغاء تعدّد الزوجات، و«بشيرة بن مراد» التي أسست سنة ١٩٣٦ الاتحاد النسائي الإسلامي التونسي، الذي ساهم في حركة التحرر الوطني. فضلاً عن تنظيم تظاهرات ثقافية وخيريّة تهدف إلى تعليم المرأة، مساعدة العائلات المعوزة وإعانة الطلبة الأفارقة الذين يدرسون في فرنسا، و«نبيهة بن ميلاد» التي ترأست سنة ١٩٦٢ اتحاد نساء تونس (أسس سنة ١٩٤٤)، الذي نشط في أكثر من مجال منها السياسي والاجتماعي، كما تضامن مع قضايا المرأة وتصدى لتهميش الطبقات الكادحة.

و«شريفة المسعدي» التي كانت أول تونسية تضطلع بمسؤوليات نقابيّة في اتحاد الشغل، وظهرت تمشي جنباً إلى جنب في المسيرات مع الزعيم «فرحات حشاد». وتمّ توقيفها في كانون الأول ١٩٥٢، وسجنها بقبلي حتى تاريخ ٥ حزيران ١٩٥٣.

وتجدر الإشارة أن أول انتخابات شاركت فيها التونسيات كانت عام١٩٥٧ وكانت انتخابات بلدية.

ويجمع العالم أن تفرّد المرأة التونسية يعود بالأساس إلى تعميم التعليم، وإلى تمكينها من الحقّ في العمل المأجور وفي الحياة العامة. كما يعود كذلك إلى التشريعات القائمة على توفير الرعاية للمرأة والمساواة بين الجنسين. وهي تشريعات مكّنت التونسيات من خوض غمار الحياة المهنية بدون قيود. وهكذا ضمنت حضورها في المؤسسات التربوية، وفي المؤسسات الاقتصادية والإدارة، ثم غزت كل القطاعات والوظائف والأعمال، بما فيها الأمنية والسياسية، كان لها حضورها أيضاً في المنظمات النقابية والهيئات الاستشارية، فضلاً عن حضورها في الهياكل والمنظمات الخاصة بالدفاع عن حقوق الإنسان، مثل الهيئة العليا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، والفرع التونسي لمنظمة العفو الدولية.

كل ما ذكر يعكس إشعاع تونس في مجال سياسة النهوض بالمرأة في المحافل الدولية، من خلال انتخاب العديد من التونسيات أو

نبيهة بن ميلاد

تعيينهن في الهيئات التابعة للأمم المتحدة والهيئات الدولية والإقليمية.

ويعود الفضل في ذلك إلى روّاد الحركة الوطنية الحديثة في تونس، أمثال المصلح «خير الدين التونسي» و«الطاهر الحداد» و«الزعيم الحبيب بورقيبة» الذين نادوا بتحرير المرأة، وناضلوا من أجل تكريس هذه الغاية في زمن اعتبر فيه مثل هذا الخيار كفراً.

ولتكريم المرأة التونسية وتقديراً لمساهمتها الثمينة في التقدم الاقتصادي والاجتماعي، تحتفل تونس في ١٣ آب من كل سنة بـ «اليوم الوطني للمرأة»، بالإضافة إلى احتفالها باليوم العالمي للمرأة.

المرأة التونسية التي ناضلت قبل الاستقلال وحققت العديد من المكاسب على مدى نصف قرن من النضال، كانت أثناء الثورة في الصفوف الأمامية للمتظاهرين مطالبة بالحرية والكرامة لجميع التونسيين والتونسيات.

وقد كشفت الثورة التونسية عن وجه المرأة التونسية الجريئة، القادرة والفاعلة في الميدان، والتي سارت بندّيّة مع الرجل في الصفوف الأمامية، وأبدت شجاعة تفوق الرجال في أكثر من مناسبة، ورغم ذلك تم تغييبها وعدم الاعتراف بدورها.

ولوحظ بعد الثورة بروز العديد من الأخطار التي تهدد مكاسب المرأة، منها الدعوات إلى الرجعية من بعض المتشددين دينياً، والذين يعتبرون أن في المكاسب التي حققتها المرأة طيلة عقود تعدّ على تعاليم الإسلام، وعليه وجب التصدي لها، اعتماداً على تفاسير متطرفة للدين.

توحيدة بن الشيخ بشيرة بن مراد

ومن جديد تعالت أصوات النساء لتندّد بظاهرة تهميش المرأة، (إن كان ذلك في مستوى تشكيل الحكومات أو في منابر الحوار السياسي في مختلف وسائل الإعلام) واستبعادهن من مراكز صنع القرار في الأحزاب السياسية.

هذه الأصوات تستحضر تجارب سابقة في إيران والجزائر والعراق وغيرها من البلدان التي عرفت تحوّلات، إذ كانت سياسات الحكومات الناشئة بعد تغييرات التنكّر لحقوق النساء، ولذلك استفادت التونسيات من هذه التجارب لتدفع باتجاه المقاومة وفرض الذات من خلال التنديد والتشهير والكتابة والمساءلة.

وبفضل الوعي واليقظة والنضال الميداني، تمكنت التونسيات من تضمين حقوقهن في الدستور الجديد، ورغم المستجدات المقلقة التي كانت تنبىء بالتراجع عن مكاسب المرأة، إلا أن إصرار وتمسك التونسيات بحقوقهن السياسية والمدنية المتعلقة بالحريات الفردية والعامة إلى جانب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية فاق كل التوقعات، ليصادق المجلس الوطني التأسيسي التونسي على الفصل ٤٦ من الدستور الجديد، الذي ينص على مبدأ المساواة بين المرأة والرجل، ويفرض تكافؤ عدد الرجال والنساء في المجالس المنتخبة.

المرأة في ظل التحول الاشتراكي

إقصاء سياسي وحضور شكلي

رهف موسى

لطالما تم انتقاد الماركسيين لعجزهم عن القيام بتحليلات متعلقة بالجنس والجندر. لكن هذا لا يعني أن النظرية الماركسية خالية تماماً من أي تحليل ذي معنى للجندر أو الجنس، أو أنها نظرياً لا تتفق معهم. في الواقع. الأمر عكس ذلك تماماً. فكتاب «أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة» لفريدريك إنجلز. وكتاب «المرأة تحت ظل الشيوعية» لأوغست بيبل. اللذان نُشرا في ثمانينيات القرن التاسع عشر. يضعان الماركسية في موقع واضح جداً. قبل ذلك نشر إنجلز وماركس بشكل منفصل أو بتعاون بينهما. العديد من الكتب المتعلقة بالمرأة والمجتمعات الرأسمالية في أربعينيات القرن التاسع عشر.

أولاً. يفسر ماركس وإنجلز الانتقادات المسماة «مجتمع المرأة» (مفهوم أن كل امرأة في المجتمع الشيوعي الطوباوي المستقبلي ستصبح متاحة جنسياً لجميع الرجال) بأنها «الشيوعية الطائشة». وأنها نوع من دعم نقادهم للبطريركية. بينما عارض كل من المفكرين الاجتماعيين هذه الفكرة في الواقع على أساس أنها «ستقلل من

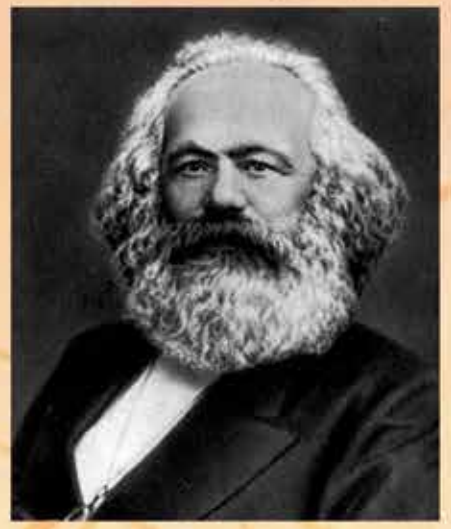

كارل ماركس

قيمة المرأة وتحولها إلى قطعة من الملكية الجماعية والمشتركة. وسيمثل مجرد انتقال من الزواج (شكل من أشكال الملكية الحصرية). إلى الدعارة العامة للمجتمع ككل».

ما ينتقده ماركس وإنجلز هو تحول المرأة من كونها ملكية لرجل واحد إلى ملكية لجميع الرجال. دون أن يكون لها الخيار في الدخول بعلاقات جنسية مع من تشاء. كما يوضح البيان الشيوعي حقيقة أنهم يعتقدون أن مفهوم «مجتمع المرأة» موجود بالفعل في ظل الرأسمالية. مما حول المرأة لملكية. وأدى إلى الزواج الأحادي. والحقوق غير المتساوية بين الزوجين والزواج كوسيلة لتركيز رأس المال.

ثانياً. انتقد كل من ماركس وإنجلز لقولهما إنه بسبب الرأسمالية والثورة الصناعية تأثرت وتآكلت وظيفة النساء المنزلية كأمهات وزوجات. كتب إنجلز أن التصنيع والرأسمالية كانا يمزقان العائلة. وفي كتاب «حالة الطبقة العاملة في

فريدريك أنجلز

إنكلترا» أورد ما يلي: «أهم نتيجة لعمل المرأة في المصانع هي انحلال الروابط الأسرية. إذا كانت المرأة تعمل لمدة ١٢ أو ١٣ ساعة في اليوم. ويعمل زوجها إما في نفس المؤسسة أو في بعض الأعمال الأخرى. فما هو مصير الأطفال؟ إنهم يفتقرون إلى الرعاية الأبوية والسيطرة. يمكن رؤية ذلك في زيادة عدد حوادث الأطفال الصغار في منطقة المصنع». تم تقييم مثل هذه التصريحات من وجهة نظر ذاتية لانتقاد إنجلز وماركس. تفشل هكذا انتقادات في النظر نظرة شاملة لعمل الثنائي. ناقش الاثنان أن أدوار المرأة المنزلية والموكلة إليها على أساس الجنس. كانت نتيجة لنوع أولي من الصراع الطبقي. ويمكن للمرء أن يجد إشارات مستمرة لاضطهاد المرأة من قبل الرأسمالية في أعمالها. مارك فيلد عالم الاجتماع في جامعة بوسطن وهارفارد وخبير الدراسات الروسية يقول: «يعتبر ماركس وإنجلز أن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة في إنجاب الأطفال هو أول تقسيم حدث للعمل. افترض إنجلز أن المثال الأول من العداء الطبقي الذي ظهر تاريخياً نشأ من العداء بين الرجل والمرأة في الزواج الأحادي. وأن المثال الأول من الاضطهاد الطبقي هو اضطهاد الذكر للأنثى. وكان سببه وجود الملكية الخاصة. وبالنظر من خلال المنظور الماركسي. اعتبرت المعركة بين الجنسين نموذجاً أولياً للصراع الطبقي (رجل خصص واستعبد النساء له كوسيلة لإنتاج الورثة «الشرعيين» الذين يمكن أن تنتقل ملكيته الخاصة إليهم). ومن هنا جاءت مؤسسة الزواج الأحادي. وفرض عقوبات قوية ضد الزانية (ولكن ليس ضد زير النساء). والمعيار المزدوج (لصالح الرجال فقط). وجود وتشجيع الدعارة. ووصم الأم غير المتزوجة وأبناءها بالعار (طفل غير شرعي)».

مشاركة المرأة في قوة العمل

مشاركة المرأة في قوة العمل وفقاً لبيبل وإنجلز وماركس. ألكسندرا كولونتاي ولينين. هي شرط أساسي لتحررها. حيث تضمن لها الاستقلال الاقتصادي. هذا يثير تساؤلات حول مدى التطبيق الفعلي للمساواة؟ في الواقع. القوى العاملة السوفيتية تعتمد اعتماداً كبيراً على العمالة النسائية. بما فيها تلك التي تشارك في الطبابة النسائية والتمريض. في عام ١٩٢٨ شكلت النساء ٤٩٪ من قوة العمل الصناعية. و٥١٪ من

أولئك الذين يعملون في المزارع الجماعية. ومع ذلك، فإن هذا المعدل المرتفع لمشاركة المرأة في الاقتصاد لم يتحقق من التزام إيديولوجي في المساواة وحدها. فقد لعبت العوامل الديموغرافية والاقتصادية دوراً رئيساً في تعبئتهن، حيث كان هدف النظام هو الحفاظ على معدل عالٍ من النمو الاقتصادي. لذلك كان لا بد من تنشيط نسبة كبيرة من النساء، وجعلهن ينخرطن في القوى العاملة، خاصة أنهن كن يشكلن غالبية السكان في ذلك الوقت. فالحرب العالمية الأولى والثورة والحرب الأهلية أثرت جميعها على نسبة تواجد الذكور، وتوج كل ذلك بخسائر فادحة خلال الحرب العالمية الثانية، ما يعني أن المجتمع السوفييتي عانى من عدم التوازن السكاني الشديد من الجنسين.

كل ما سلف ألقى المزيد من الأعباء على كاهل المرأة، فقد باتت تتحمل الكثير من الجهد في البيت والعمل، وتقضي معظم وقتها في العمل، حيث شاركت النساء في المرحلة السوفييتية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، لكن مشاركتهن كانت محدودة في المجال السياسي، وذلك بسبب عملهن بدوام كامل، وغالباً في أعمال تتطلب جهداً بدنياً، بالإضافة إلى الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، حيث يمتنع الأزواج عن مساعدتهن. وهكذا، وبكل بساطة، لا تملك الكثير من النساء وقت الفراغ للقاءات السياسية. كما أن النساء يتجنبن النشاطات السياسية داخل العمل لأنها مرهقة ومتكررة، لذا اشتكى الرجال من «العبء المزدوج»، العمل والسياسة، حيث تتغلغل السياسة كثيراً في حياتهم. وحين يتم فرض المشاركة السياسية على المرأة، فهي تختار مكاناً قريباً من منزلها كي تتمكن من الجمع بين التزاماتها الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية. وعلى الرغم من زيادة عدد النساء في قاعدة الحزب الشيوعي على مر السنين، بسبب غلبة عددهن، إلا أن تمثيلهن بقي ناقصاً في المراكز العليا حيث النخب الحزبية.

وبما أن الترقية في الوظيفة كانت تعتمد على عضوية الحزب،

لم تصل النساء إلى مناصب عليا في النخب الحزبية والوظائف الحكومية، لذا نرى أن مجلس السوفييت الأعلى كان يتشكل من الذكور بشكل ملحوظ، مقابل انعدام التمثيل النسائي.

لقد كان هناك تردد دائم من جانب القيادة السوفييتية في إنشاء مؤسسات تخص الإناث، في البداية على أساس أنها امتداد لـ «الحركة النسوية البرجوازية»، وخوفهم من أن تصبح مستقلة عن الحزب، وبالتالي تعمل على تقسيم الطبقة العاملة. لينين قال ذات مرة:

«علينا، بكل السبل والوسائل، تأسيس حركة نسائية أممية على أسس نظرية قاطعة». لكنه أضاف لاحقاً:

«نحن لا نريد منظمات نسائية شيوعية مستقلة! فالمرأة الشيوعية هي التي تنتمي كعضو في الحزب بنفس الحقوق والواجبات، لكن الحزب يحتاج لأعضاء معينين لتحقيق غرض محدد يتمثل في تحريض الجماهير العريضة من النساء».

العودة إلى القيم الأبوية

عانت المرأة في العهد السوفييتي من وجود هش. فعلى الرغم من تشكيل لجنة خاصة بالنساء تحت مظلة أمنة من النقابات، على المستويات المحلية والإقليمية، بالإضافة إلى المجالس النسائية المرتبطة بلجان الحزب المحلية في المصانع والمزارع، ومحاولة تعبئة النساء للعمل في القضايا التي تهمهن، إلا أنه لم يسمح لهن بتشكيل منظمات نسائية مستقلة، لخلق قنوات مؤسساتية تتمكن المرأة عبرها من مناقشة مشاكلها ووضع مصالحها في المقدمة.

وجاء تأسيس «أممية النساء» عام ١٩٢٢، التي صمدت لمدة عامين ونصف. لكن صعود الستالينية جعلها تتراجع بشكل كبير. في منتصف عام ١٩٢٥، صدر قرار بوقف نشر المجلة الخاصة بأمانة النساء، بحجة أنها كانت مكلفة للغاية. انتقلت قيادة أممية النساء الشيوعيات من برلين إلى موسكو عام ١٩٢٦، وفي غضون سنوات قليلة لاحقة، انضمت معظم القيادات النسائية الشيوعية للمعارضة المناهضة للستالينية تحت قيادة كل من ليون تروتسكي، غريغوري زينوفييف ونيكولاي بوخارين.

وفي عام ١٩٣٠، ألغي قسم المرأة داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، والذي كان يُعد رأس الحربة لتقدم المرأة في جمهوريات الاتحاد السوفييتي، لكن اللجان النسائية صمدت لعدة سنوات بعد هذه الواقعة، وبحلول منتصف ذلك العقد، كانت الستالينية قد نجحت في إعادة العمل بالقيم الأبوية داخل الاتحاد السوفييتي، وداخل الأحزاب الشيوعية في الخارج.

46 امرأة حازت على جائزة نوبل

إعداد: سامر مختار

في العام الماضي أجرت صحيفة الديلي تلغراف البريطانية دراسة كشفت فيها انحياز جائزة نوبل للرجال، ليس فقط ذلك، بل أظهرت الدراسة تصدّر الولايات المتحدة، المملكة المتحدة ثم ألمانيا قوائم هذه الجائزة، إذ إن الذين فازوا بالجائزة من الولايات المتحدة الأمريكية هم حتى اليوم ٣٢٣ شخصاً، من بريطانيا ١١٣ شخصاً. ومن ألمانيا ٨٧ فائزاً. وأغلب الحائزين على الجائزة من هذه الدول حصدوها في مجالات الطب، الكيمياء والفيزياء.

وبينت الدراسة أن «نوبل» وزعت ٩٠٠ جائزة على أهم العقول في العالم في حقول الفيزياء، الكيمياء، الطب، الأدب، الاقتصاد والسلام، ليكون نصيب النساء ٥% فقط من إجمالي الجوائز. لقد وزعت ٨٦٧ جائزة نوبل منذ عام ١٩٠١، لكن ٤٦ منها فقط مُنحت للنساء، بدءاً بالعالمة «ماري كوري» التي فازت بجائزة نوبل للفيزياء مع زوجها «بيير كوري» عام ١٩٠٣، ومرة أخرى للكيمياء عام ١٩١١.

وخلال ١٠٣ سنوات تلت فوز كوري، مُنحت ١٥ جائزة فقط للنساء عن الإنجاز العلمي، مقارنة مع أكثر من ٥٠٠ رجل، فيما نالت ١٢ جائزة نوبل للآداب، ١٤ جائزة للسلام، وجائزة واحدة للاقتصاد.

امرأتان فقط في حقل الفيزياء، الأولى هي ماري كوري (١٨٦٧- ١٩٣٤) ذات الأصول البولندية، وحازت عليها مشاركة مع كل من زوجها بيير كوري، والفرنسي هنري بيكيريل.

والثانية هي الألمانية ماريا غوبرت ماريا (١٩٠٦ – ١٩٧٢)، التي حازت على الجائزة عام ١٩٦٣ مشاركة مع مواطنها هانز ينسن والأمريكي يوجين ويغنر.

أما في الكيمياء فقد فازت بها ٤ سيدات هن ماري كوري عام ١٩١١، الفرنسية إيرين جوليو كوري ١٩٣٥، (مناصفة مع زوجها جوليو خوري)، البريطانية دوروثي هودجكن عام ١٩٦٤، والإسرائيلية عادا يونات عام ٢٠٠٩ (مشاركة مع الأميركيين فينكاترامان راماكريشنان وتوماس ستايتز).

في الطب حازت على الجائزة ٩ سيدات هن جرتي كوري (ابنة ماري كوري) من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٧ (مشاركة مع زوجها كارل كوري، والأرجنتيني برناردو هوساي)، الأمريكية أيضاً روزالين يالو عام ١٩٧٧، مشاركة مع الفرنسي روجه غيومين والأمريكي أندرو سكالي، ثم الأمريكية باربرا مكلنتوك في عام ١٩٨٣، من إيطاليا ريتا ليفي مونتالشيني عام ١٩٨٦ مناصفة مع الأمريكي ستانلي كوهين، الأمريكية جرترود إليون في عام ١٩٨٨، مشاركة مع الإسكتلندي جيمس بلاك والأمريكي جورج هتشنغز. الألمانية كرستيانا نوسلاين فولهارد في عام ١٩٩٥ مشاركة مع الأمريكيين إدوارد لويس وإريك فيشاوس، فرانسواز باري سينوسي (فرنسا) في عام ٢٠٠٨ مشاركة مع الألماني هارالد تسور هاوزن والفرنسي لوك مونتانييه، وأخيراً الأمريكيتان إليزابيث بلاكبيرن وكارول غريدر مشاركة مع مواطنهما جاك زوستاك في عام ٢٠٠٩.

النساء اللواتي حزن على جائزة نوبل للسلام وصل عددهن إلى ١٤ سيدة، برتا فون سوتنر عام ١٩٠٥، جين آدمز في عام ١٩٣١ مناصفة مع نيكولاس موراي باتلر، إميلي جرين بالش عام ١٩٤٦ مناصفة مع جون راليه موت، بيتي وليامز، ميريد كوريجان عام ١٩٧٦ عن «مؤسسة حركة السلام» في إيرلندا الشمالية (التي سميت فيما بعد بتجمع مناصري السلام)، الأم تريزا ١٩٧٩، وأولفا ميرال عام ١٩٨٢ مناصفة مع ألفونسو جارسيا روبلز.

عام ١٩٩١ نالتها أون سان سو تشي، وفي عام ١٩٩٢ ريغوبيرتا مينتشو، أما جودي وليامز فحازت عليها عام ١٩٩٧ مشاركة مع الحملة الدولية لمنع الألغام الأرضية.

شيرين عبادي فازت بنوبل عام ٢٠٠٣، ووانجاري ماثاي عام ٢٠٠٤، وتوكل كرمان مشاركة مع إلين جونسون سيرليف وليما غبوي في عام ٢٠١١.

الأديبات اللواتي حزن على نوبل للآداب فهن ١٢ كاتبة، بدءاً من السويدية سلمى لاغرلوف التي حازت عليها عام ١٩٠٩، مروراً بالإيطالية غراتسيا ديليدا عام ١٩٢٦، النرويجية سيغريد أوندست عام ١٩٢٨، الأمريكية بيرل بك عام ١٩٣٨، التشيلية غبريالا ميسترال عام ١٩٤٥، الألمانية نيلي زاكس عام ١٩٦٦مناصفة مع شمونيل يوسف عجنون، نادين غورديمير عام ١٩٩١، توني موريسون عام ١٩٩٣، فيسوافا

شيمبورسكا عام ١٩٩٦، دوريس ليسينغ عام ٢٠٠٧، هيرتا مولر عام ٢٠٠٩ وانتهاءً بأليس مونرو عام ٢٠١٣.

أما في مجال الاقتصاد فلم تحظَ بجائزة نوبل إلا امرأة واحدة هي الأمريكية إلينور أوستروم مناصفة مع أوليفر وليامسون، وذلك عام ٢٠٠٩.

اختيار الجنوب أفريقية نادين غورديمير (نوبل للآداب ١٩٩١) كرّست حياتها وأدبها لفضح خزي قانون العزل العنصري، والذهاب بعيداً في تفكيك التاريخ المظلم لعلاقة البيض بالسود، حين كانت علاقة الحب بين أبيض وأسود ضرباً من المحرّمات. هكذا اتجهت الفتاة البيضاء الثرية إلى الضفة الأخرى المعتمة، اختلطت بالسود في علاقات معقّدة، وأماطت اللثام عن العدالة المفقودة، في نظام كولونيالي شره ومتوحش.

ولدت غورديمير في ٢٠ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٢٣ في ضواحي جوهانسبورغ، لأب ليتواني يهودي وأم إنجليزية مسيحية. تربت في بيئة بورجوازية بيضاء بمرجعية كاثوليكية، وبسبب معاناتها أثناء طفولتها ومراهقتها من مرض القلب كانت تقضي جل وقتها في المطالعة والقراءة وهي طريحة الفراش.

غورديمير الطفلة اكتسبت حين كانت في التاسعة من عمرها، وعياً بالنضال من أجل محاربة التمييز العنصري، عندما رأت خادمتها السوداء وهي تهان بطريقة لا تمت للإنسانية بصلة. كانت تلك الصورة ببشاعتها دافعاً لأن تبدأ رحلة الكتابة التي جعلتها في خدمة محاربة العار الإنساني العنصري الذي عانت منه جنوب إفريقيا طويلاً. هذه المرأة التي قاومت التمييز العنصري وانتصرت عليه برفقة مناضلين آخرين، لم تستسلم وهي تتعرض في شيخوختها لاعتداء ثلاثة من اللصوص تسللوا محاولين سرقتها يوم ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٦، وحين قاومتهم أصيبت ببعض الجروح، وبقيت وفية لمبادئها التي عاشت من أجلها، هي التي صنعت وجهاً ناصعاً في الكتابة الأدبية وفي النضال الإنساني.

من القراءة النهمة مرّت بسرعة الى الكتابة في سن مبكرة (١٥عاماً)، بتشجيع من والدتها التي ربّتها على الإنجليزية بدل الأفريكانية، لغة

الأقلية البيضاء التي يكتب بها معظم الكتاب في جنوب أفريقيا. وعندما بلغت العشرين من العمر كانت غورديمير قد اقتحمت سلفاً معترك الكتابة الاحترافية، وكوّنت اسمها بفضل المواظبة على النشر في المجلات الأدبية الأمريكية المتخصصة، مثل «نيو يوركر» و«نورث أميريكان ريفيو» وغيرهما.

عام ١٩٤٩ أصدرت أولى مجموعاتها القصصية تحت عنوان «فحيح الحية الرهيف»، وعندما بلغت الثلاثين أطلقت عليها الصحافة الثقافية الأميركية لقب «كاترين مانسفيلد الجنوب أفريقية» بسبب قرابتها الأسلوبية في فن القصة القصيرة مع الكاتبة الأمريكية كاترين مانسفيلد. ورغم ولعها بالقصة وإتقانها للسرد القصير، جرّبت غورديمير المغامرة الروائية، فأصدرت تباعاً روايتي «الأيام الكاذبة» و«عالم من الغرباء»، لتدشّن بهما مسيرة كتابية غزيرة اشتملت على خمس عشرة رواية، وما يعادلها من المجموعات القصصية، إضافة إلى ثلاث دراسات نقدية وسيرة ذاتية.

في عام ١٩٧٤ دخلت غورديمير عالم الشهرة بعد فوزها بجائزة «بوكر» للرواية، ثم ولجت بقوة للعالمية والتاريخ الأدبي من أوسع الأبواب عندما نالت جائزة «نوبل» للآداب عام ١٩٩١، وقالت عند تسلمها الجائزة: «بعد سنوات أدركت أنني لو كنت سوداء، لما أصبحت كاتبة، لأن المكتبات التي كنت أتردد عليها كانت محظورة عليهم»، وأصبحتْ عضواً في المؤتمر الوطني الأفريقي الذي كان محظوراً حينها.

جعلت غورديمير من النضال ضد الفصل العنصري قضيتها الأولى، كانت مقربة من نيلسون مانديلا، الذي حرص على رؤيتها فور خروجه من السجن، كونها واحدة ممن ساهموا بفعالية في الحملة الدولية لإطلاق سراحه. وبفضل وضعها الاعتباري ككاتبة شهيرة، حصلت على هامش كبير للترويج لقضية النضال ضد «الأبارتايد» في المحافل الدولية، واعتبرت نفسها دوماً «أفريقية بيضاء» ورفضت بشدة أن توصف بـ «كاتبة بيضاء من أفريقيا الجنوبية».

رفضت تصنيفها ككاتبة ملتزمة بالمعنى الأيديولوجي للكلمة، وصرّحت ذات مرة: «انخرطت بقوة في الكفاح ضد نظام الفصل العنصري، لكني أتحدى أياً كان أن يجد أثراً للبروباغاندا في قصصي ورواياتي».

معايشة الواقع الاستعماري المشين، منح غورديمير خيالاً واسعاً، وساهم في زيادة رصيدها القصصي والروائي من خلال كثافة إنتاجها، ولهذا، فإننا نتلمس مناخات مختلفة في إنتاجها الإبداعي، وإن كانت أعمالها متمحورة في مجملها حول التسامح والحرية والتوجه نحو الآخر بقوة واندفاع، فهي منطوية على مزيج من الأسى، الغضب والحنان، وخلخلة نسيج «الخواء الإنساني».

آخر أعمالها كانت رواية «لا وقت مثل الحاضر» (٢٠١٢)، والتي كانت بمثابة مراجعة وأرشفة لتاريخ التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا.

توفيت نادين غورديمير في ١٣ يوليو من العام الماضي ٢٠١٤ عن عمر يناهز ٩٠ عاماً، مخلفة وراءها تراثاً أدبياً أضاء أغواراً عميقة وزوايا بعيدة في عوالم كانت لتبقى لولاه ملتبسة على الكثيرين.

الموت السريع.. التهاب الكبد

• هادية الخطيب

الكبد هو ثاني أكبر عضو في الجسم، يقع تحت القفص الصدري في الجهة اليمنى، يزن حوالي كيلو غرام ونصف، و يؤدي العديد من الوظائف في الجسم، فهو يحول الطعام والشراب إلى طاقة ومواد غنية تتيح للجسم الاستفادة منها، كما ينقي الدم من المواد الضارة.

التهاب الكبد:

يصيب التهاب الكبد الفيروسي الجسم باليرقان (صفرة الجلد) ولاسيما لدى الأطفال، وهناك خمسة أنواع من الالتهاب الكبدي هي (A، B، C، D، E)، والسبب الشائع في موت المرضى بالفيروسات الكبدية هو الفشل الكبدي الحاد، مما يؤدي للغيبوبة والموت.

عندما يصاب الكبد بالتهاب الكبد الفيروسي تموت خلاياه، ما يؤدي إلى مضاعفات مختلفة، فقد يصاب المريض بالنزيف المتكرر نظراً لقلة إفراز الكبد لأنزيمات التجلط.

التهاب الكبد A:

شديد العدوى ولكنه نادراً ما يكون مميتاً، تشتد عدوى هذا الالتهاب بين الأطفال، وفي التجمعات السكنية الكبيرة، والفقيرة وأثناء السفر إلى بلدان ينتشر فيها.

طريقة الانتقال:

يتواجد الفيروس في براز الأشخاص المصابين بالتهاب الكبد الوبائي A، وتنتشر العدوى عادة من شخص إلى آخر عن طريق الطعام أو الشراب الملوث بهذا الفيروس، كما تنتقل العدوى بتناول الطعام المغسول بماء ملوث أو الطعام غير المطهو، كبعض الأطعمة التي تؤكل نيئة مثل الخضار والفواكه.

الأعراض:

- الشعور بالألم في كافة أنحاء الجسم.
- يصبح لون البول غامقاً (كالشاي)، فيما يكون لون البراز فاتحاً
- الإسهال
- الحمى
- الغثيان والقيء
- اليرقان (اصفرار الجلد وبياض العين)
- فقدان الشهية
- الجفاف الشديد نتيجة القيء
- تشوش في التفكير، ونعاس شديد أو فقدان للوعي
- احتجاز الماء في الجسم، وبالتالي تورم الوجه، اليدين، القدمين، الكاحلين، الساقين والذراعين.
- حدوث نزيف بالأنف، أو الفم، أو الشرج أو تحت الجلد.

العلاج:

ينصح الأطباء بتناول كميات كبيرة من البروتينات، مع تجنب جفاف الجسم ولاسيما في حالة القيء،

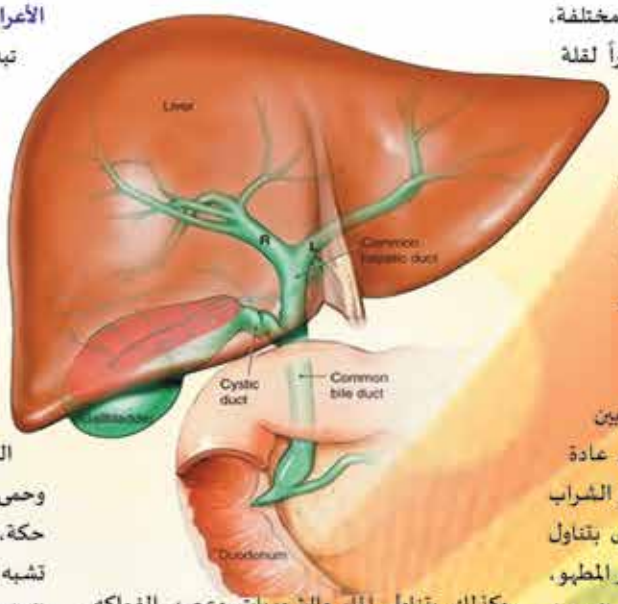

وكذلك بتناول الماء والشوربات وعصير الفواكه، مع تجنب الخمور والأدوية التي قد تصيب الكبد بالتلف، وفي حال ظهور طفح جلدي يدهن بسوائل ملطفة، مع أخذ الاحتياطات الوقائية عند ملامسة المريض أو براز، بغسل اليدين بالماء الساخن والصابون.

الوقاية:

تتمثّل أكثر وسائل مكافحة التهاب الكبد A فعالية في تحسين وسائل الإصحاح والتطعيم ضدّ المرض. ومن الأمور التي تسهم في الحد من انتشار التهاب الكبد A توفير إمدادات كافية من مياه الشرب النقية، والتخلّص من مياه الصرف الصحي بطرق سليمة، فضلاً عن ضمان ممارسات النظافة الشخصية بشكل دائم.

على الصعيد الدولي، هناك عدة لقاحات متوافرة لمكافحة التهاب الكبد A، وجميع تلك اللقاحات متشابه من حيث مستوى الحماية التي تضمنها للناس ضد الفيروس المسبّب للمرض ومن حيث الآثار الضائرة التي تسبّبها.

التهاب الكبد B:

يتطور التهاب الكبد من النوع B بسرعة شديدة ويسبب تليف الكبد.

الأعراض:

تبدأ الأعراض بالظهور بعد الإصابة بالفيروس خلال ٦٠- ١٢٠ يوماً، تظهر الأعراض فقط في ٥٠% من المصابين البالغين، أما بالنسبة للرضع والأطفال فنسبة ظهور الأعراض تكون في الغالب أقل.

ومما يمكن أن تشمله هذه الأعراض:

- يرقان (اصفرار الجلد والعين).
- تحول البول إلى اللون الداكن.
- تحول البراز إلى اللون الفاتح.

الأعراض الأولية كأعراض الأنفلونزا: فقدان الشهية، ضعف عام واعياء، غثيان وقيء وحمى، صداع، ألم في المفاصل، طفح جلدي أو حكة، ألم في الجزء الأيمن العلوي من البطن.

تشبه أعراض التهاب الكبد الفيروسي B أعراض التهاب الكبد A إضافة إلى آلام في المفاصل والعضلات. وفي نسبة تتراوح بين ٥-١٠% من المرضى الذين يستمر عندهم الفيروس كمرض مزمن، وبعد عدة سنوات يصاب الكبد بالتليف والمعدة بالدوالي التي تسبب القيء المصطحب بالدم، إضافة للإصابة بالفشل الكبدي والأورام السرطانية.

إذا لم تكن الإصابة بفيروس B حادة أو مزمنة فالاشخاص المصابون بالعدوى سوف يتعافون من المرض في غضون شهر. الأطفال أقل عرضة للإصابة الخطيرة بالمرض، فأكثر من ٩٥% من الأطفال الذين يتعرضون للمرض يتعافون تماماً ولا يخرجون بأية إصابة، بل تطوّر أجسامهم مضادات تحميهم من المرض في المستقبل.

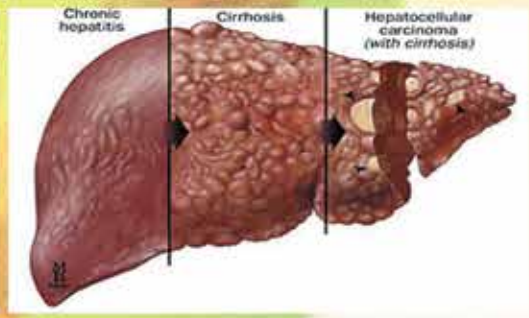

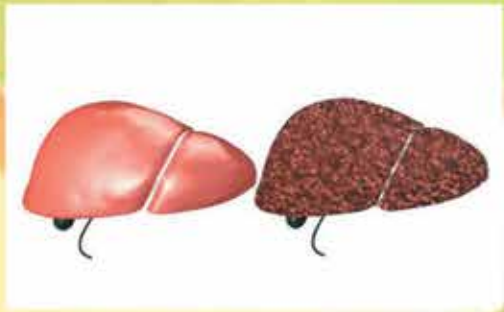

الوقاية:

يمكن الوقاية من التهاب الكبد B بواسطة لقاح التهاب الكبد الفيروسي B. وفحص وظائف الكبد وأنزيماتها.

التهاب الكبد C:

٢٠ % من المصابين بالتهاب الكبد C المزمن يعانون من تليف كبدي من بينهم ١-٤ % يصابون بسرطان خلايا الكبد سنوياً.

طريقة العدوى:

• المشاركة في الإبر المستعملة لحقن الأدوية المخدرة.

• الوخز أو الجرح اللاإرادي بإبرة أو مشرط ملوث بالفيروس أثناء العمل في المختبرات أو في غرف العمليات أو للعاملين في غسيل الكلى.

• الوشم أو الحجامة بإبر غير معقمة. أو الحلاقة بموس ملوث بدم شخص مصاب بالفيروس.

• الاتصال الجنسي. وهذه الطريقة ليست مهمة جداً. لأن الفيروس لا يوجد بكثرة في سوائل الجهاز التناسلي. ولذلك فإن انتقاله لا يحصل بصورة مؤكدة.

لا تنتقل العدوى بفيروس التهاب الكبد بمصافحة أو معانقة الشخص المصاب بالمرض أو حامل الفيروس المعدي أو الجلوس بجانبه.

تظهر الإصابة بالفيروس على شكل التهاب كبدي حاد يتميز بـ:

• إعياء عام وفقدان للشهية وغثيان وقيء.

• ألام جسدية وحرارة خفيفة.

• بول قاتم اللون.

• الطفح الجلدي.

تستمر الإصابة لعدة أسابيع. يبدأ المريض بعدها بالتعافي تدريجياً في معظم الحالات. ولكن هناك بعض الحالات التي تحدث فيها أضرار للكبد قد تؤدي إلى فشل كبدي ووفاة.

تنتشر العدوى بفيروس الالتهاب الكبدي C في كل أنحاء العالم. حيث إن أكثر من ١٧٠ مليون شخص مصابون بهذا الفيروس. ومعظمهم مصابون بأمراض الكبد المزمنة. الإصابة المزمنة بأعراضها أو بالترافق مع التهاب أمراض الكبد المزمن قد تقود إلى تشمع الكبد بعد عدة سنوات من المرض. هذا النمط من الإصابات قد يؤدي بشكل درامي أيضاً إلى الإصابة بسرطان الكبد. لذلك يطلب من مرضى الكبد المزمن تجنب تعاطي الكحول كأحد المعجلات في حدوث هذه الأمراض الخطيرة. وغالباً ما يحتاج مرضى الالتهاب الكبدي المزمن C إلى زراعة الكبد.

الوقاية:

• تجنب استخدام فرشاة الأسنان وأمواس الحلاقة الخاصة بالآخرين.

• تجنب المخدرات وخاصة التي تستعمل عن طريق الحقن.

• تجنب استعمال الحقن وأدوات تحليل السكر التي سبق أن استعملها شخص آخر.

• استعمال الواقي الذكري أثناء الجماع إذا كان الطرف الآخر مصاباً بالتهاب الكبد الفيروسي C.

• الحذر أثناء التعامل مع الدم الملوث بالنسبة للعاملين في المجال الصحي.

• لبس قفازات أثناء التعامل مع الدم في الحوادث المنزلية (الجروح) عندما يكون أحد أفراد الأسرة مصاباً بالتهاب الكبد الفيروسي C.

يذكر أنه لم يكتشف لقاح خاص بالتهاب الكبد الفيروسي C حتى الآن.

التهاب الكبد E:

يسمى أيضاً بفيروس الدلتا. لا يستطيع الاستنساخ والتكاثر إلا بوجود فيروس آخر هو فيروس التهاب الكبد B. لذلك فإن فيروس التهاب الكبد الوبائي E يوجد ويظهر مترافقاً دائماً مع التهاب الكبد الوبائي B. ويعتبر من الأمراض الوبائية المرتبطة بتلوث المياه.

طريقة انتقاله:

ينتقل هذا الفيروس إلى الإنسان عن طريق الفم من الطعام والشراب الملوثين. ولأن الفيروس يخرج من جسم المصاب عن طريق البراز فغالباً ما يكون سبب العدوى الرئيسي مياه الشرب الملوثة بمياه الصرف الصحي.

تتراوح فترة حضانة الفيروس بين أسبوعين و٩ أسابيع. ويعتبر الأشخاص بين ١٥-٤٠ سنة أكثر عرضة للإصابة به. النساء الحوامل أكثر المعرضين وبشكل خاص للإصابة بهذا الفيروس. وتكون نسبة الوفاة لديهم أعلى بكثير. إذ ربما تصل إلى ٢٠% مقارنة بأقل من ١% عند الآخرين.

الأعراض:

• اصفرار الجلد (اليرقان).

• ضعف عام.

• ضعف الشهية والغثيان.

• ألام في البطن وارتفاع درجة حرارة الجسم.

• من الممكن أن يؤدي الالتهاب إلى قتل خلايا الكبد وبالتالي إلى فشل كبدي ثم الوفاة خاصة عند النساء الحوامل.

العلاج:

الفيروس E يسبب التهاب كبدي حاد يزول عادة بشكل تلقائي. لذلك لا يتم إعطاء أدوية للمصاب. ولكن ينصح بالإكثار من شرب السوائل وتناول غذاء صحي ومتوازن.

الوقاية:

• منع تلوث مياه الشرب بمياه الصرف الصحي.

• شرب الماء النظيف. وتناول الأطعمة المطبوخة وغير الملوثة.

• الاهتمام بالنظافة الشخصية خاصة لدى المصابين. وذلك بغسل اليدين بالماء والصابون بعد استعمال الحمام.

كما يمكن الوقاية من العدوى عن طريق تلقيح الأطفال باللقاح الخاص بالتهاب الكبد الفيروسي.

لمزيد من المعلومات نورد الروابط الآتية:

http://www.worldhepatitisalliance.org/en/firus-altxab-alkbd-g-2020-hcv2020-fi-ksfurd.html
world hepatitis alliance فيروس التهاب الكبد ج

http://www.liverfoundation.org/downloads/alf_download_760.pdf
American Liver Foundation التهاب الكبد

http://worldhepatitisday.org/ar/about-hepatitis
world hepatitis day ماهو التهاب الكبد

الثروة السمكية في سوريا

مصاعب حالية كبيرة وإهمال منذ عقود طويلة

محمود الدرويش

زراعة السمك مصطلح يطلقه أهالي قلعة المضيق بسهل الغاب في ريف حماة على تربية الأسماك ضمن أحواض مائية.

يجد أهالي قلعة المضيق ممن يعملون في مجال تربية أو زراعة الأسماك، صعوبات جمة في هذه الأيام بعد اشتداد المعارك في الريف الحموي، والتي باتت تؤثر بشكل رئيسي على مورد رزقهم.

تراجع الإنتاج وضعف الإمكانيات

أحمد العمر (اسم مستعار) أحد سكان قلعة المضيف، يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً، يشكو من تدهور زراعة الأسماك في المنطقة ويرجع ذلك إلى ارتفاع تكلفتها فيقول: "سابقاً كنا نشتري طن السمك بخمسة وستين ألف ليرة سورية، الآن أصبح يكلف مايقارب ستمائة وخمسين ألف ليرة سورية، ما جعل الكثير من أهالي المنطقة يتركون زراعة الأسماك أو يلجؤون للتخفيف من الكميات".

زراعة السمك ليست حديثة في قلعة المضيق، فهي تعود إلى العام ١٩٥٩ عندما بني أول حوض للأسماك على مساحة تقدر بثلاثة ونصف هكتارات، لتقوم بعدها منظمة الأغذية والزراعة /fao/ بافتتاح مدرسة لتعليم العمل في مجال علوم تربية الأسماك.

لايقتصر الأمر على ارتفاع التكاليف، بل هناك العديد من المستلزمات بات من الصعب الحصول عليها من أدوية ونقص الوقود وعدم توفر الأعلاف وارتفاع أجور العمال، وأيضاً القصف الذي يؤثر بشكل سلبي على السمك، إما من خلال الصوت أو من خلال المواد التي بداخل القذيفة، بحسب العمر.

إهمال منذ عقود

المشاكل التي تعانيها الثروة السمكية في سوريا ليست وليدة اليوم، ولم يترافق ظهورها بانطلاقة الثورة السورية عام ٢٠١١، فمنذ تسلم البعث السلطة في العام ١٩٦٣ بدأت مهنة والصيد تتراجع بشكل ملحوظ.

تمتد سوريا على شريط ساحلي يصل طوله إلى ما يقارب ١٩٥ كلم، وكان أهالي اللاذقية وطرطوس يمتهنون الصيد كمهنة رئيسية، ويصدرون السمك البحري لكافة المحافظات السورية، ولكن عدم توفر إحصائية رسمية أو دراسة دقيقة يجعل الأمر أكثر صعوبة في معرفة حجم الإنتاج في الفترات التي سبقت تسلم حزب البعث للسلطة، ويروي كثير من أهالي اللاذقية والمدن الساحلية السورية الأخرى في أحاديثهم التي تناقلوها عن أجدادهم أن الأسماك كانت توجد على الشاطئ، وهذا يدل على أن الساحل السوري كان غنياً بالثروة السمكية.

في العام ١٩٧٤ تم إصدار المرسوم التشريعي رقم /٣٩٢/ القاضي بإحداث المؤسسة العامة للأسماك، وبحسب المرسوم كان لتلك المؤسسة هدفان رئيسيان هما: تأمين الأسماك للمواطن السوري بأسعار رخيصة، والثانية تعليمية إرشادية بهدف تعليم المزارعين السوريين تربية الأسماك.

ولكن كباقي المؤسسات التي أنشأتها دولة البعث، لم ترق تلك المؤسسة إلى الأهداف التي وضعتها لنفسها رغم الإمكانيات التي رصدت لها من قبل الدولة. ويستبين ذلك من الإحصائيات الصادرة من وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي، والتي تبين أن القطاع العام المتمثل بالمؤسسة العامة للأسماك أنتج عام ٢٠٠٣ ما نسبته ١،٥٦% وفي عام ٢٠٠٤ ٠،٨% من إجمالي ما أنتجته سوريا من الأسماك خلال هذين العامين.

وبسبب الضعف الذي أبدته المؤسسة، فقد تم حلها في العام ٢٠٠٨، واستبدلت بالهيئة العامة للثروة السمكية.

أسباب كثيرة أدت إلى تراجع مهنة الصيد وتراجع الإنتاج السمكي في سوريا، يقول أحمد العمر، المزارع من قلعة المضيق: إن مزرعته كانت تنتج ضعف ما يزرعه لكنها التراجع الآن بات واضحاً وبشكل كبير .إذ لا يرق إنتاجه إلى ربع ما يزرعه في ظل ضعف الإمكانيات وعدم توفر المواد اللازمة للزراعة. ناهيك عن عدم قدرة المزارعين على كلف زراعة الأسماك. لعدم وجود سوق للتصريف الذي كان سابقاً يمتد إلى معظم المحافظات السورية الداخلية كإدلب، حماة، حلب، حمص وحتى دمشق. ولكن الأمر يقتصر الآن على الأسواق الداخلية في قرى ريف حماة وإدلب وبعض المناطق من حلب.

ورغم توفر الأسماك البحرية والعذبة في السوق السورية، إلا أنه حين طبقت اتفاقية السوق الحرة بين الدولة العربية في العام ٢٠٠٥، قامت شركات خليجية بتقديم عروض للحكومة السورية، وكان أحد العروض المقدمة من شركة سعودية واسمها "مؤسسة الجحدلي" وهي مؤسسة سعودية تهتم بالصيد في أعالي البحار. فحوى العرض أن تسمح السلطات السورية بتوريد الأسماك البحرية من خلال المؤسسة، لتتعهد المؤسسة في المقابل بتقديم لوازم صيد حديثة للصيادين السوريين، وافتتاح مدارس في سوريا لتعليم حرفة الصيد وفق الأساليب الحديثة، لكن العرض رفض دون أن يتم تقديم مبررات.

مشاريع تندثر

لم تنتهِ محاولات رجال الأعمال من للاستثمار في مجال الأسماك، فبعد صدور قرار الاستثمار تمكن بعض رجال الأعمال من الاستثمار في مجال الأسماك البحرية من خلال بناء مشاريع داخل البحر، وهي عبارة عن مسامك عائمة كصناديق، وتنتج هذه المشاريع التي بلغ عددها ثمانية ما يقارب ١٠٢١٠ طن، وتوفر ما يقارب ٤٧٥ فرصة عمل للسوريين، بحسب إحصائيات الهيئة العامة للثروة السمكية لعام ٢٠١٠.

ولكن كثير من المستثمرين بدؤوا يشتكون من عدم حماية استثمارهم، وذلك بمنع الصيد العشوائي أو الصيد عن طريق المتفجرات أو الطعوم السامة التي تهدد آلاف الأطنان من الأسماك في تلك الصناديق، ومع بداية الثورة عام ٢٠١١، بدأت تلك المشاريع بالتهاوي، بسبب الأوضاع الأمنية وعدم قدرة النظام على حماية تلك المشاريع أو تطبيق القوانين.

يجمع الكثير من المزارعين والصيادين على الخطر الكبير الذي بات يحيق بالثروة السمكية في سوريا، وخاصة في ظل تراجع العناية في المزارع العذبة أو العناية بالأسماك البحرية التي يهددها الصيد بالمتفجرات والطعوم السامة، بالإضافة إلى عدم تطبيق الدولة قانون منع الصيد في أوقات تكاثر السمك.

لايختلف الأمر كثيراً بالنسبة للمزارع الموجودة في ريف حماة، والتي تخضع لسيطرة النظام، يقول العمر: إن أحوال تلك المسامك باتت مزرية لدرجة كبيرة، إذ بدأ الشبيحة بالاستيلاء عليها وعدم السماح لأحد بالأقتراب منها، وجعلوها أملاكاً خاصة بهم، رغم أن معظمها تعتبر أملاك دولة.

منات المزارع في ريف حماة باتت في خطر، بسبب الإهمال وعدم القدرة على العناية بها، الأسماك البحرية أو الثروة السمكية البحرية لم تول الاهتمام اللازم، ما أدى إلى ضعف الإنتاج بشكل كبير في الأعوام التي تلت استلام البعث السلطة، وبعد الثورة أصبح الخطر على الثروة السمكية في البحر كبيراً، لعدم قدرة النظام على فرض القوانين وتوسع نفوذ الميليشيات المحلية داخل النظام، بالإضافة إلى تجار محسوبين على الفروع الأمنية باتوا يمارسون تجارتهم دون رقيب أو حسيب.

التمييز الإيجابي تجاه المرأة في القرن الواحد والعشرين
تفاوت في المكاسب يصل حد الانقلاب على المبدأ

فريق ترجمة سيدة سوريا

في رسالة أرسلها طفل في السابعة من عمره إلى شركة اللوغو، طالب القائمين عليها بصناعة المزيد من قطع اللوغو لفتيات لا يقمن فقط بالتبضع وتمضية الوقت على الشاطئ، بل يذهبن في مغامرات ويعملن وينقذن الناس.

استطاع هذا الطفل بفطرته البسيطة إدراك أمر صعب على مجتمعات ما زالت تؤطر المرأة في صورة نمطية واحدة عبر وسائل إعلامها ومنتجاتها، مع أنها باتت على أرض الواقع جزءاً من جميع المجالات المهنية. ما زالت المرأة مستمرة في مواجهة أشكال صريحة أحياناً ومستترة أحياناً أخرى، من التفرقة في المنزل والعمل والمجتمع بشكل عام. كذلك هناك عدد أقل من النساء مقارنة بالرجال يشغلن مناصب قيادية، مع أنهن لسن أقل جدارة من زملائهن من القادة الرجال.

عندما تحاول البحث في مدى المساواة التي حصلت عليها المرأة، ومستوى التطور الحاصل، ستجد أنك تحاول تعريف معنى المساواة، والتساؤل عن التدابير السياسية الموجودة لدعم المساواة بين الجنسين. أحد التدخلات السياسية الموجودة للتشجيع على المشاركة في مكان العمل تكون عبر «التمييز الإيجابي». يستخدم هذا المصطلح للمبادرات التي تحدد كوتا لمجموعات اجتماعية وسياسية معينة. وقد أظهرت مبادرات التمييز الإيجابي تحسيناً لمشاركة المرأة على المستوى السياسي وفي أماكن العمل. لكن السؤال المطروح هنا، هل التمييز الإيجابي، بكل جوانبه، هو الحل لتحسين المساواة بين الجنسين؟ وإذا كانت المساواة تعني إعطاء المرأة مكاناً مساوياً للرجل في المجتمع، أفلا يجب أن تعني التأكيد على أن الأدوار التقليدية المعتبرة من نصيب المرأة (مثل التمريض والقبالة) هي أيضاً متاحة للرجل؟ وإذا كان مكان المرأة في المطبخ، لماذا إذاً تفوق أعداد الطباخين الرجال أعدادهم من النساء؟

التمييز الإيجابي حول العالم

طبقت مبادرات التمييز الإيجابي لرفع مستوى مشاركة المرأة في السياسات المحلية والدولية في العديد من الدول منذ أكثر من عقدين من الآن. ففي عام ١٩٩٥ أقرت محكمة العدل الأوربية أن قانون العمل الإيجابي، والذي ينص على تعزيز دور المرأة المؤهلة على قدم المساواة مع الرجل عندما تكون ممثلة تمثيلاً ناقصاً في مساحة العمل، ينتهك القوانين التي تحظر التمييز بين الجنسين في الاتحاد الأوروبي. حدث هذا بعد الحكم في قضية كالانكي. عندما كانت تعطى المرأة الأولوية تلقائياً إذا كان

المتقدمان للوظيفة (امرأة ورجل) لديهما ذات المؤهلات في قطاع ينقصه تمثيل نسائي.

طرحت مبادرات مشابهة في أماكن أخرى من العالم أيضاً. ففي الهند مثلاً، وهو بلد أخرج قيادات نسائية قوية حديثاً وتاريخياً، يستمر الصراع لضمان حقوق الإنسان الأساسية لنسبة كبيرة من النساء، من هذه الحقوق حق التعليم والرعاية الصحية. في هكذا مجتمع متنوع ومتناقض، من الممكن أن يساعد التمييز الإيجابي في الدفع باتجاه زيادة مشاركة المرأة في القوى العاملة العامة والخاصة (المرأة الهندية تمثل ٩٤% من القوى العاملة في القطاع الصناعي الخاص في الهند). يسعى مشروع قانون التحفظ (تعديل دستوري) إلى حجز ثلث مقاعد البرلمان للنساء، وتم تقديمه عام ٢٠٠٨ ولم يمرر حتى الآن. على الرغم من ذلك، فإن التحفظ للمناصب الريادية للنساء أقرّ منذ عام ١٩٩٢ على مستوى القرى.

أما في بريطانيا، فقد ظهرت مبادرة غير مسبوقة، حيث أقرت الكنيسة البريطانية قانون التمييز الإيجابي عام ٢٠١٤، مما يعني أنه يمكن تعيين أسقف امرأة ابتداء من هذا العام، هذا وقد عينت أول كاهنة امرأة في بريطانيا عام ١٩٩٤، لكن حتى عام ٢٠١٤ لم تكن النساء قادرات على الوصول إلى أدوار عليا في الكنيسة.

مع أو ضد؟

عند النظر في مشروع قانون التحفظ الهندي المضي، تظهر إحدى الاعتراضات التي تستند إلى أن التحفظ يؤدي إلى تشكيل نظرة سلبية تجاه المرأة بأنها لم تحصل على منصبها بجدارة. في حالة التمييز الإيجابي لصالح الفئات الاجتماعية المستضعفة في الدولة، مثل القبائل أو الطوائف المحرومة وطبقات أخرى متخلفة في الهند، فإن وجهة النظر السائدة تميل إلى أن الشخص الموظف من الطبقات الاجتماعية المستضعفة حصل على منصبه بسبب الكوتا وليس الجدارة المهنية، مما يطرح تساؤلاً حول ما إذا ما كان هذا القانون قد نجح في جعل التعليم والعمل شاملين، أم إنه بدلاً من ذلك عزز

بنازير بوتو

انديرا غاندي

مارغريت تاتشر

انجلينا ميركل

رئيسة وزراء استراليا جوليا جيرالد

رئيسة وزراء الدنمارك هيلي شميث

رئيسة وزراء تايلند شيناوترا

التفرقة تجاه الفئات المستضعفة وحط من قيمة قدراتها؟

زعم المعارضون أيضاً أن التمييز الإيجابي يقلل من قيمة إنجازات الذين ينحاز إليهم القانون، مما يؤدي إلى نتائج عكس المرجوة تماماً. وذهب الاقتصادي الأمريكي «توماس سويل» إلى ما هو أبعد من ذلك، عندما طرح رأيه بأن التمييز الإيجابي يضعف الحافز لدى الجهات المستهدفة وغير المستهدفة من القانون للقيام بأفضل أداء ممكن، لأن العمل الجاد والدؤوب في حالة الفئة المستهدفة غير ضروري. أما بالنسبة لفئة غير المستهدفين فهو عديم الجدوى، مما يؤدي إلى خسائر تعود على المجتمع ككل بالإضافة إلى توليد عداوات تجاه المجموعات المستهدفة بالقانون وزيادة التفرقة.

في بلجيكا كذلك طرحت النقاشات حول زيادة التمييز الإيجابي لمشاركة المرأة في الوسط السياسي تساؤلات عما إذا كانت النساء في مناصبهن الحالية لجدارتهن أم لجنسهن.

أما في السويد فتطرق الطرح المتعلق بالتمييز الإيجابي لجانب اخر، ألا وهو أن التقييد بالكوتا في الجامعات حرم النساء من دراسة الفروع التي يرغبن فيها، لأن الكوتا الخاصة بهن قد وصلت للحد الأقصى، كمثال على ذلك قسما الطب البيطري والحقوق اللذين اشتكت النساء الراغبات بالدراسة فيهما من عدم قبولهن على أساس معدلاتهن، بسبب نقص عدد الرجال في الفرعين، رغم أنهم ذوو معدلات دراسية منخفضة وغير جديرين بالدراسة في هذين القسمين، مما حدا بالمحكمة العليا عام ٢٠٠٦ للإقرار بأن التمييز الإيجابي والكوتا العرقية في الجامعات يعتبر تفرقة، وبالتالي فهو غير قانوني، ونص الحكم على أن شروط القبول يجب أن تكون متساوية للجميع.

بعيداً عن التساؤلات حول الجدارة، كشفت دراسات عن التمييز الإيجابي أثراً إيجابياً لهذه المبادرة، كما في تحفّظ الهند على مراكز للنساء على الصعيد السياسي المحلي، الذي أظهر مشاركة أكبر لنساء المجتمع في المجال السياسي بوجود نساء أخريات في القيادات السياسية، بالإضافة إلى إسهام قانون التمييز الإيجابي في العديد من الدول بزيادة انتشار التعليم وتوسيع طيف قيادات الدولة وتصحيح الأخطاء التاريخية المتعلقة ببعض الجماعات المحرومة مثل قوانين الرق.

لكن هل يكفي ذلك؟

إن التفرقة ضد فئات محرومة أو مستضعفة ليست محصورة بمنطقة جغرافية ما، وقصص التفرقة على أساس الجنس تأتي من المجتمعات المتحررة والمتحفظة على حد سواء، ففي بلجيكا مثلاً، يعاني بعض الرجال من الحرمان من الدراسة التي يرغبونها، القبالة على سبيل المثال، لأنها مهنة مقتصرة تاريخياً على النساء، ولا يقبل فيها طلاب ذكور إلا في جامعات قليلة.

في حين أنه لا يمكن إنكار أن التمييز الإيجابي قد يكون وسيلة للوصول الى مشاركة متساوية بين الجنسين في المجال السياسي، التعليمي والصحي في السياق السياسي والثقافي والاجتماعي الحالي، إلا أنه لا يمكننا التوقف عن التساؤل عما إذا كان الربح سيتوقف هنا، فاليوم الذي لن يقف عقبة في طريقك الدراسي والمهني كونك امرأة أو إنساناً أسود أو من طبقة فقيرة، هو اليوم الذي يمكن أن نتوقف فيه عن المطالبة بالمساواة، وهذا هو الهدف الأساسي ليس بالنسبة للنساء فقط، بل لجميع الفئات المستضعفة.

المصدر:
http://e.itg.be/ihp/archives/positive-discrimination-women-21st-century-buck-stop-here/

ظاهرة الطلاق أسبابها وأشكالها وفقاً للقانون واتساعها في ظل الحرب الدائرة في سوريا

سحر حويجة

ترك العنف الدائر في سوريا منذ حوالي أربع سنوات آثاراً عميقة على جميع مناحي الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتبقى الأسرة السورية الشاهد الأكبر على حجم الكارثة الإنسانية التي حلت بالشعب السوري، بعد أن طال اللجوء والنزوح نصف هذا الشعب، ما يعني خسارة العائلة استقرارها بعد أن تفرقت، وخسارة أملاكها، ومصادر عيشها، انتشرت البطالة وبلغ الفقر مستويات قياسية، فأكثرية الشعب السوري تعيش تحت خط الفقر بالمعنى المتعارف عليه دولياً.

لقد خسرت العائلة إذن استقرارها المادي والمكاني وتشتّتت، وكان من أبرز نتائج هذا الوضع ظاهرة عودة الأسرة الممتدة، حيث تعيش مجموعة من الأسر من عائلة واحدة في بيت واحد، فازدادت الخلافات العائلية والشجار، إضافة إلى ذلك هناك ظاهرة أخرى واسعة الانتشار، حيث الزوجة تذهب للسكن عند أهلها، والزوج إما يذهب للسكن عند أهله أو يسافر مهاجراً بحثاً عن عمل بعد أن ضاقت به سبل العيش في البلد، أو هارباً من الخدمة الإلزامية، وهناك الكثير من الأزواج الذين التحقوا بصفوف المقاتلين في مناطق المعارضة، أما زوجاتهم فيجبرن على الفرار مع أولادهن إلى مناطق اللجوء في الدول المجاورة، بسبب القصف الذي يستهدف مناطق المعارضة، إضافة إلى وجود مئات الآلاف من المعتقلين والمفقودين في سجون النظام، نسبة كبيرة منهم تركوا وراءهم زوجات وأطفالاً، تعيش المرأة في هذه الحالة أمام مصير مجهول بسبب عدم معرفة مكان توقيف زوجها وما إذا كان حياً أم ميتاً، ترافق ذلك ضغوط اجتماعية وسياسية ومعيشية كبيرة، هذه الأسباب وغيرها الكثير عصفت باستقرار العائلة السورية، فانتشر الطلاق وتحول إلى ظاهرة واسعة بلغت نسبتها ٤٠% من حالات الزواج في عام ٢٠١٣ وفقاً لمصادر وزارة العدل، مما يعكس تفكك الأسرة السورية وانحلال الرابطة الزوجية بالإكراه.

سوف تترك هذه الظاهرة آثاراً كارثية على مستقبل أطفال تلك العائلات، وقد يكون أولئك الأطفال من ضحايا الانفصال عرضة للتشرد والفقر وعدم الالتحاق بالمدارس، نتيجة الحاجة للبحث عن عمل، وقد يكونون صيداً للمتشددين، لتجنيد هؤلاء الأطفال في صفوفهم.

أشكال الطلاق الأكثر انتشاراً نتيجة الأوضاع السائدة في سوريا:

لابد بداية من الإشارة إلى أن الطلاق كما الزواج في قانون الأحوال الشخصية السوري تحكمه قوانين تميزية لصالح الزوج، حيث تغيب المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات، والطلاق حق من حقوق الزوج، هذا القانون استمر منذ عقود بعد انهيار السلطنة العثمانية، مع الإشارة إلى أن تركيا تبنت قانوناً مدنياً للأحوال الشخصية عندما ألغت الشريعة كمصدر من مصادر التشريع، أما الدول العربية التي خلفت الدولة العثمانية، فلم تزل تراعي الشريعة، نتيجة قوة أنصار الشريعة، وبسبب ضعف الحركات النسائية والشعبية المطالبة بحقوق المرأة، لذلك نظم قانون الأحوال الشخصية وفق المعيار الإسلامي التقليدي، المبني على سيادة الرجل، وقد استطاعت مختلف الدول إدخال تعديلات على قانون الأحوال الشخصية، وتبقى تونس في مقدمة الدول التي وضعت المرأة والرجل على قدم المساواة منذ عام ١٩٥٦، حيث منحت المرأة حق الطلاق أسوة بالرجل، شريطة حصول الطلاق في الحالتين عبر جلسة قضائية، لعرض الأسباب التي تدعو إلى الطلاق، بعد قراءة جديدة لنصوص

الدين والاعتماد على مقاصد الشريعة الإسلامية التي غايتها المساواة.

وبقراءة لنصوص قانون الأحوال الشخصية السوري المتعلقة بالطلاق، نجد أن الطلاق حق للرجل، وفق المادة ٨٧ من قانون الأحوال الشخصية، إذ يقع الطلاق باللفظ والكتابة، ويقع من العاجز عنهما بإشارته المعلومة. وتنص المادة ٩١ على أن الرجل يملك على زوجته ثلاث طلقات متفرقة، كما جاء في المادة ٩٣ أن كل طلاق يقع رجعي، إلا المكمل للثلاث.

وهكذا فالرجل له الكلمة الفصل في الطلاق وفي الرجعة بالإرادة المنفردة، وكثيراً ما يكون الطلاق في هذه الحالة تعسفياً، والمرأة ما هي إلا موضوع للطلاق، وقد أشار قانون الأحوال الشخصية في المادة ١١٧ منه، أنه في حال طلق الرجل زوجته وتبين للقاضي أن الزوج متعسف في طلاقها دون سبب معقول، وأن الزوجة سيصيبها بذلك بؤس وفاقة، جاز للقاضي أن يحكم لها على مطلقها بحسب حاله ودرجة تعسفه، بما يعادل نفقة ثلاث سنوات، وللقاضي أن يجعل دفع التعويض جملة أو تقسيطاً.

نجد إذاً أن الطلاق عندما يتم بالإرادة المنفردة للزوج، فإن الأخير يضطر في هذه الحالة إلى دفع حقوق الزوجة من مهر ونفقة، غير أن الأوضاع المعيشية السائدة تجعل من دفع المهر أو النفقة مسألة بالغة الصعوبة عندما يكون المطلق فقيراً، وحتى في حال الطلاق التعسفي دون سبب، فإن وجود معيل للزوجة المطلقة من أب أو أخ يعفي الرجل من أي تعويض وفقاً لاجتهادات المحاكم والقانون.

كما يلجأ الزوج في حال ترتب عليه مهر كبير إلى رفع دعوى تفريق على الزوجة لعلة الشقاق بسبب نشوزها، حتى إنه يسيء ويطعن في أخلاقها بهدف حرمانها من التعويض ومن مؤجل مهرها، وقد يلجأ الزوج إلى فرض عقد مخالعة على زوجته، لتتنازل بموجبه عن كل حقوقها في المهر والنفقة، سواء لها أو لأولادها، ويبرأ الزوج من كل التزاماته. لا بد من الإشارة هنا إلى أن المرأة كثيراً ما تلجأ إلى عقد المخالعة وتطلبها من الزوج عندما تصبح حياتها مستحيلة معه، فتفتدي خلاصها من الزواج، فالمرأة المستقلة اقتصادياً عن الرجل قد تبادر بطلب المخالعة طواعية، غير أن المخالعة غالباً ما تُفرض على الزوجة الفقيرة، مع الإشارة إلى أن المخالعة

وفق قانون الأحوال الشخصية السوري هي عقد رضائي، لابد فيه من تبادل الإيجاب والقبول والتصريح بتبادل الألفاظ بين الزوجين، وفق ما جاء في المادة ٩٥ من قانون الأحوال الشخصية: «يجب أن يكون الزوج أهلاً لإيقاع الطلاق، وأن تكون المرأة محلاً له، وعليه فإن المرأة التي لم تبلغ سن الرشد (أي القاصر) إذا خولعت لا تلتزم ببدل الخلع إلا بموافقة ولي المال». لأن العوض من قبل المرأة للرجل هو شرط أساسي من شروط عقد المخالعة، وبعد العقد يبرأ كل منهما من حقوق الآخر بالمهر والنفقة الزوجية، والمخالعة والطلاق بالإرادة المنفردة للزوج يتميزان بإجراءات سريعة أمام المحاكم.

أما عندما تلجأ الزوجة للانفصال عن زوجها، فأمامها خيارات للتفريق وليس الطلاق.ويتم التفريق بحكم القاضي، ويعود لأسباب متعددة:

١ . التفريق للعلل وفق ما جاء في المادة ١٠٥: «إذا كان الرجل يعاني من الإصابة بإحدى علتين، العنة التي تمنعه من الدخول، أو إذا جن الرجل بعد العقد، ولكن لا يحق للمرأة التفريق إذا كان الزوج مصاباً بالجنون قبل العقد وقبلت بذلك».

٢ . التفريق للغيبة، فقد جاء في المادة ٩١: «إذا غاب الزوج بلا عذر مقبول أو حكم على الزوج بعقوبة السجن أكثر من ثلاث سنوات، جاز لزوجته بعد سنة من الغياب أو السجن أن تطلب إلى القاضي التفريق».

قد تلجأ الكثير من النساء إلى الاحتكام لهذه المادة في الظروف القائمة، للتفريق عن زوجها المفقود أو السجين الذي لا يعرف مكانه، أو المهاجر أو حتى الغائب في إحدى مناطق النزاع، ولهذه الأسباب قد يسهل القضاء سبيل المرأة لتحقيق ذلك، وتكون الأسباب الداعية إما لعدم قدرة الزوجة على الإنفاق على أطفالها أو عدم قدرتها على الانتظار فترة طويلة بدون معيل، أو بدواعي سفرها أو زواجها مرة أخرى، أو نتيجة الضغوط الأمنية، أوتعرضها لضغوط اجتماعية من قبل الأهل.

٣ . التفريق لعدم الإنفاق:

يجوز للزوجة وفق المادة ١١٠ طلب التفريق إذا امتنع الزوج الحاضر عن الإنفاق عليها، ولم يكن له مال ظاهر، ولم يثبت عجزه عن النفقة، في الفقرة الثانية من المادة، أما في حال أثبت عجزه أو كان غائباً، أمهله القاضي مدة ثلاثة أشهر، فإن لم ينفق فرق القاضي بينهما.

إن لجوء الزوجة إلى المادة ١١٠ في الحالة السورية، حيث البطالة وعدم قدرة الرجل على الإنفاق يفسح المجال واسعاً أمامها لطلب التفريق رغم قساوة ذلك الخيار، حتى يبرر لها البحث عن معيل أو من أجل أن ينفق عليها أهلها في أغلب الحالات، وهنا تتعرض المرأة للإكراه المادي حتى تلجأ إلى هذا السبيل.

أما الطريقة الأخيرة للتفريق بين الزوجين فهي التفريق لعلة الشقاق بين الزوجين، يلجأ الزوجان لهذه الطريقة وفق المادة ١١٢، التي تنص على أنه «إذا ادعى أحد الزوجين الإضرار بالآخر بما لا يستطاع معه دوام العشرة يجوز له أن يطلب من القاضي التفريق». لكن لهذه الحالة إجراءات، وفي حال لم يثبت الضرر يلجأ القاضي إلى تعيين حكمين وإعطاء مهلة للزوجين، وفي حال الإصرار على التفريق يتم التفريق بحكم القاضي، ويوزع المهر حسب النسبة التي يتحملها الطرفان من الضرر.

في النهاية نجد في قوانين الطلاق وانتهاء الحياة الزوجية وضع المرأة الاقتصادي يلعب دوراً كبيراً في اختيار هذا الشكل أو غيره، أو هذا السبب من أسباب الانفصال بين الزوجين دون غيره من الأسباب، كما أنه وفق القانون هناك مادة تقول إن كل إنسان نفقته من ماله، إلا المرأة نفقتها على زوجها، مما يعكس ويكرس الصورة النمطية للمرأة التابعة اقتصادياً لزوجها، أو لولي الأمر من عائلتها، ولا يعبر عن المرأة المتحررة اقتصادياً، بل ينتقص من قدرها ومكانتها في العائلة والمجتمع.

يمنيات بين النص والواقع

سحر غانم
مدير المشاركة المجتمعية، الأمانة العامة للحوار الوطني (اليمن)

تترقب الأوساط النسوية اليمنية صدور مسودة الدستور الجديد رسمياً خلال الأيام القليلة المقبلة، بتوقعات وآمال بأن تشكل هذه الوثيقة فارقاً حقيقياً في نظرة وسياسات دولة اليمن ما بعد الثورة نحو النساء وحقوقهن، إذ تأتي هذه المسودة بعد نضال طويل خاضته اليمنيات وظهر جلياً خلال فعاليات الحراك الجنوبي، وثورة ٢٠١١ التي كانت سبباً رئيسياً في جميع التحولات السياسية التي تعيشها اليمن اليوم. وقد تم الاعتماد في صياغة هذه المسودة على مخرجات مؤتمر الحوار الوطني، وهو المؤتمر الذي رسم خارطة طريق بناء الدولة اليمنية القادمة، وتم فيه للمرة الأولى في تاريخ صناعة القرار السياسي في اليمن الحديث أن شكلت النساء ما يقارب ٣٠% من قوامه، وتوزعن على جميع محاوره وفرقه.

ظهر جلياً أثر وجود النساء والكيانات المدنية الأخرى في تشكيلة هذا المؤتمر، حيث تضمنت وثيقة مخرجاته واتفاقاته العديد من الموجبات الدستورية والقانونية التي ترسخ مبدأ المواطنة المتساوية، وتحدثت عن الأمومة المأمونة والعنف ضد النساء والأطفال، وغيرها من الحقوق التي اختفت مشاريع قوانينها في غياهب قبة البرلمان لعقود مضت.

لكن في بلد مثل اليمن، حيث تختفي الدولة تقريباً خارج عواصم المحافظات، ليبرز شرع القبيلة، وتحدد العقلية الذكورية لأصحاب القرار فيها طريقة تعامل الدولة بأجهزتها المختلفة مع النساء، بغض النظر عما يقوله القانون، هل يجدي فعلاً الحديث عن دستور جديد يعالج قضايا النساء؟ وإلى أي مدى ستتبنى مؤسسات الدولة روح النصوص في إنصاف النساء وتحقيق المساواة بدون تغيير جذري في عقلية العاملين فيها؟

تظهر بعض الدراسات الميدانية التي قامت بها منظمات نسوية أن أغلب النساء اليمنيات لن يلجأن لسلطة ومؤسسات الدولة لحمايتهن من تسلط العائلة مهما اشتد وقعه، ولذلك أسباب ترتبط بالصورة السيئة لموظفي الدولة، لكن الأسباب الأهم تتعلق بحواجز نفسية مرتبطة بالأعراف والتقاليد وثقافة العيب، ويؤكد ذلك حال نساء الجاليات اليمنية في بلاد الغرب، حيث يظهر التأثير العظيم للثقافة الأم في الحد من تمتعهن بالكثير من الحقوق الأساسية التي تقدسها تلك الدول، وعدم قدرة النسوة على تخطي الحاجز النفسي لكسر العادات أو التقاليد، بغض النظر عن قناعتهن بها، وبغض النظر كذلك عن الحماية التي تؤمنها تلك الدول لهن في حال تعرضهن لأي شكل من أشكال العنف الأسري.

بين مثالية النصوص وقساوة الواقع يبدو أن حال المرأة اليمنية لن يتغير كثيراً ما لم يصحبه تغيير حقيقي في وعي المجتمع وفي قناعات أفراده، النساء منهم قبل الرجال، تجاه أدوار النساء وقضاياهن، وسيرتبط مشروع النساء تمام الارتباط بتأسيس الدولة المدنية القائمة على مبادئ المواطنة المتساوية وسيادة القانون وضمانة الحريات والحقوق الأساسية، ولعل هذا الدستور سيكون حجر الأساس في بناء هذه الدولة.

مواجهة العنف طريق الخلاص

مركز أمل للمناصرة والتعافي.. «من الفرد السوي نبني المجتمع»

نور مارتيني

دفعت المرأة السورية الثمن الأكبر خلال أربع سنوات هي الأقسى في تاريخ سوريا الحديث، نالها خلالها ما نالها من تشريد، تنكيل، قتل واغتصاب، لم تفرق آلة العنف خلالها بين أم أو أخت، صديقة أو زوجة، حيث كانت المرأة الحلقة الأضعف التي يمارس عليها القدر الأكبر من العنف، ويقع على عاتقها القدر الأكبر من المسؤولية، من هنا ظهرت أهمية إخراج المرأة السورية من دائرة اليأس، لتكون عنصراً فاعلاً في إعادة بناء سوريا، خاصة أن أسراً كثيرة باتت تعتمد في كسب معيشتها على النساء بشكل كلي، نتيجة الأعداد الهائلة للمعتقلين والشهداء والمفقودين والمعاقين من الرجال، فضلاً عن انشغال عدد كبير من الرجال في العمل العسكري، ما يجعل الزوجة مضطرة لملء الفراغ الذي تركه الرجل في الأسرة، وبضاعف ما تتعرض له من ضغط نفسي.

عن فكرة تأسيس «مركز أمل للمناصرة والتعافي» في مدينة أنطاكيا التركية، التي يتواجد فيها عدد كبير من النازحات السوريات من مختلف المراحل العمرية، تقول الحقوقية «أمل النعسان» مديرة المركز إن «الحرب الدائرة في سوريا خلقت أوضاعاً مأساوية بالنسبة لفئتي النساء والأطفال، كونهما يشكّلان الحلقة الأضعف في هذا الصراع، وتعرّضت الكثيرات منهن للعنف، سواء الجسدي أو النفسي، فكان القرار بإيجاد مكان آمن للنساء والأطفال، للتخفيف من آثار الصراع».

تأسس مركز أمل للمناصرة والتعافي بتاريخ ١-٧-٢٠١٤، وهو مركز متخصص في تقديم الدعم النفسي والاجتماعي والقانوني، يركّز على مجال حماية الأسرة، ودعم النساء، خاصة اللواتي يعانين أعراضاً نفسية ناجمة عن تعرضهن لعنف اجتماعي، جسدي، نفسي أو جنسي من داخل الأسرة وخارجها، وكذلك بالنسبة للطفل، و«يسعى للمساهمة في تغيير وضع النساء السوريات، بحيث تصبح المرأة أكثر وعياً بحقوقها ومكانتها، وذلك للمساهمة في بناء مجتمع سليم، مبني على تعزيز ثقافة حقوق الإنسان في ظل دولة مدنية» حسب النعسان.

عن عدد السيدات المنتسبات، تقول مديرة المركز: «عدد العاملين في المركز هو سبع سيدات متطوعات، وثلاثة شبان، كلّهم جامعيون ومتطوعون، منهم من هو ملتزم بداوم كامل، ومنهم من يداوم بشكل جزئي». وتضيف أن المركز استطاع خلال شهرين توثيق حوالي خمس وعشرين حالة تعنيف من داخل الاسرة وخارجها، إضافة إلى الأطفال الذين يعانون من صدمات الحرب، وصدمات فقدانهم لأحد ذويهم.

أقام المركز منذ تأسيسه بعدة نشاطات من بينها، تقديم الدعم القانوني للمستفيدين، وذلك من خلال الاستشارات القانونية التي تتعلق بالأحوال المدنية وبالزواج والطلاق والإرث، بالإضافة إلى محاضرات توعوية للنساء حول كيفية حماية الأطفال من التحرش الجنسي، تعامل الأم مع سن المراهقة بالنسبة لأطفالها، وعن العنف وأنواعه، الأسري منه والمدرسي، فضلاً عن قيام المركز ببعض النشاطات الفنية المرتبطة بعمله، كعرض بعض الأفلام، كما يقيم المركز جلسات استرخاء للنساء اللواتي يعانين من ضغط، وزيارات ميدانية لتقديم الدعم الاجتماعي للمعنفات من داخل الاسرة.

فيما يتعلّق بنشاطات الأطفال، يقيم المركز نشاطات ترفيهية كالرسم والأشغال، وجلسات حوارية بوجود مرشدة نفسية متخصصة.

عن آلية دعم المركز، تقول السيدة أمل «تمّ دعم المركز من قبل رابطة المرأة العربية في النمسا، وذلك بدفع بدل إيجار المبنى، وتأمينه لمدة ستة أشهر، وقدمت منظمة بحر بعض قطع الأثاث، في حين نمول أنشطتنا من مالنا الخاص، ما يسبب إرهاقاً لنا، إلا أن أملي كبير بأن نتمكن من الاستمرار فيما نقوم به».

من جهتها تحدثت مسؤولة الدعم النفسي في المركز، والتي فضلت عدم ذكر اسمها بسبب طبيعة عملها، مركزة على أنها تتوجه بالدعم للنساء المعنفات، وأن المركز يستقبل أحياناً بعض الرجال الذين تعرضوا للعنف، والمراهقات، وكذلك الأطفال الذين يتعرضون للعنف بكل أشكاله، أو يعانون من صدمة ما بعد الحرب، إضافة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة منهم.

عن تجربتها مع المركز تقول مسؤولة الدعم النفسي: «إن عملي في المركز كاختصاصية دعم نفسي يتركز على الدعم النفسي للأطفال، وتعليم الأهل على الأساليب الصحيحة لتربية أولادهم أطفالاً ومراهقين، خصوصاً في ظل الظروف الصعبة التي تعانيها الأسر بسبب غياب الأب، وضعف الإمكانيات المادية، وطبيعية العيش في بيوت صغيرة ومزدحمة». وتشير إلى أنها لاحظت من خلال عملها وجود الكثير من الأطفال ممن تدهورت حالتهم النفسية بسبب هذه الظروف القاسية، ما أدى إلى اضطرابات سلوكية، كالخوف الشديد من الظلام والأصوات العالية، صعوبات في النطق، العدوانية، التعلق الشديد بالأم والتبول اللاإرادي... إلخ.

أما عن الصعوبات والتحديات فتقول: «إن عدم وجود الدعم المادي، وبالتالي افتقار المركز للأدوات اللازمة من أجهزة إلكترونية، كالحواسيب، والطابعة، وأجهزة الإسقاط وغيرها، كذلك عدم وجود تجهيزات لغرفة الأطفال من ألعاب، ومقاعد، وطاولات، وأدوات الفنون والرسم، إلا من خلال بعض التبرّعات الفردية البسيطة».

يبقى العامل الأهم في هذا النوع من أنشطة الدعم النفسي، هو خلق كوادر متخصصة ومدرّبة، سيما أن تجربة المواطن السوري مع مفهوم الدعم النفسي وكذلك العمل المدني ما تزال في بداياتها، وبالطبع وجود تجهيزات متطورة، ليس بالأمر السهل، لكنّه ضرورة حتمية كي تؤدي هذه المراكز رسالتها بالشكل الذي تطمح إليه.

عن "شيماء الصباغ" والخرطوش الذي اغتال وردة

إيمان عادل - القاهرة

في أحد أيام صيف ٢٠١٣، كان «حزب التحالف الشعبي الاشتراكي المصري» يعقد اجتماعاً تنظيمياً دورياً. في تلك الأونة كانت رغبتي في الانضمام لأحد الأحزاب اليسارية التي تنادي بالعدالة الاجتماعية تزداد، بعد الإحساس الذي بات يسيطر على أغلب ثوار يناير، وهو غياب القيادة والقادة، مما دفع الكثيرين للتفكير بالانضمام لحزب قريب من ميولهم، لتطبيق مبادئ الثورة (العيش، الحرية، العدالة الاجتماعية). وكان اجتماع التعريفي الأول بالحزب بصحبة الزميل الصحفي «مصطفى محيي»، قطعنا الطريق الطويل من منطقة «جاردن سيتي» إلى ضواحي منطقة «فيصل» بالقاهرة، حيث اختارت قيادات الحزب عقد الاجتماع في تلك المنطقة الشعبية، لتكون أقرب لبسطاء منطقة فيصل. بمجرد الوصول إلى مقر الحزب زفرت قائلة: «طوبى لمن يقطعون تلك المسافة لحضور اجتماعات الحزب». وكانت «شيماء الصباغ» تجلس قبل الجميع، بقصة شعرها القصيرة، تعطي للناظر إليها انطباع ما تعطيه صور المناضلات الشيوعيات القدامى، نظرتها شديدة الحدة والذكاء، لكنها كانت تتميز بذلك الطابع الهادئ المتزن، الذي يعود ربما لكونها شاعرة.

كان ذلك اللقاء الأول بيننا، حيث لم يسمح الاجتماع المطول بأن يستمر بيننا حوار ودي بعيداً عن السياسة. مضت الأيام، وتوقفت عن حضور اجتماعات الحزب، بينما ظلت هي مخلصة للعمل الحزبي، ومتصلة اتصالاً مباشراً بالعمل في الشارع، مع عمال المصانع والبسطاء والمتظاهرين.

غابت صورة شيماء الصباغ طيلة عامين عن بالي، ولم أصدق حينما شاهدت صورها في الصحف، ومواقع التواصل الاجتماعي، وهي غارقة في دمائها في ميدان طلعت حرب، بعدما استهدفها أفراد من الشرطة المصرية بخرطوش أصابها في الرقبة والرأس والظهر بعد مسيرة سلمية نظمتها مع رفاقها في حزب التحالف الشعبي الاشتراكي المصري، يوم السبت ٢٤ يناير ٢٠١٥، وهم يحملون الورود لوضعها على النصب التذكاري لشهداء يناير في ذكراهم الرابعة.

قبل يوم من استشهادها كانت شيماء الصباغ تعيش ذلك الصراع الذي عاشه ثوار التحرير، هل سيكون النزول إلى الميدان في ذكرى الثورة ذا جدوى مع دولة استعدت بالمدرعات والقوات الخاصة، لمواجهة أي متظاهر يجرؤ على التجمهر في منطقة وسط البلد، متذرعة بقانون التظاهر القمعي، أم أن النزول والمشاركة واجب على المتبقين خارج السجون، ليقوموا بدورهم في مواجهة الاعتقال المتزايد ومصادرة الحريات التي لا تنتهي؟ ولأن شيماء كانت من أولئك الثوار «الرومانسيين»، إن صح التعبير، الذين يحملون واجب الامتنان للثورة والشهداء على أكتافهم.

وواجب الاستمرار في النضال والتواجد رغم تهديدات القمع، فقد قررت النزول للميدان قبل يوم واحد من ذكرى الثورة، مشاركةً في صنع إكليل من الورود، لوضعه على النصب التذكاري للشهداء، وذكرت ذلك في صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك.

بحسب إحدى شهود العيان «الصحفية جهاد أحمد»، فإن المسيرة لم تكد تكتمل وتتحرك من ميدان طلعت حرب لتتجه إلى ميدان التحرير، حتى ظهرت القوات الخاصة للشرطة المصرية، وقامت بالهجوم على المسيرة بالقنابل المسيلة للدموع، والخرطوش، لتقع شيماء غارقة في دمائها على بعد مترين من مكان المسيرة، ويقع زملاؤها فريسة الضرب الوحشي والاعتقال الفوري.

كان وقوع شيماء بمنطقة طلعت حرب تحديداً، يؤكد أنها لن تنجو، لن يستطيع زوجها الذي كان برفقتها، ولا أصدقاؤها إسعافها، وهو ما حدث فعلياً. حملها زوجها على كتفيه، فاراً بها في الشوارع الجانبية من منطقة وسط البلد، إلى شارع قصر النيل، ثم شارع هدى شعراوي، وقهوة «زهرة البستان»، المنطقة كانت مطوقة بإحكام من قبل قوات الشرطة، الفرار في أي سيارة أجرة أو ملاكي (سيارة خصوصية) كان ميؤوساً منه، فالمنطقة في ذلك الوقت كانت تخلو من السيارات بسبب إغلاق منافذ ميدان التحرير، وسيارات الإسعاف كحال كل سيارات الإسعاف في مصر، تأتي في اللحظات الأخيرة. كانت شيماء تنازع وتنزف في الشوارع الجانبية، حتى جاءت سيارة الإسعاف، وأعلن حزب

التحالف الشعبي الاشتراكي خبر استشهادها بعد عشر دقائق من وصولها المستشفى.

الشهود جناة في تحقيقات النيابة

بعد إعلان خبر استشهاد شيماء الصباغ، انتشرت الدعوات من المنظمات الحقوقية ومنها «مركز الهلالي للحريات»، «مركز هشام مبارك للحريات»، «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان»، و«صفحة الحرية للجدعان»، بضرورة فتح تحقيق في قضية اغتيالها، خاصة بعد انتشار عدد من الصور والفيديوهات، التي تؤكد أنها لاقت حتفها نتيجة قيام الشرطة بإطلاق الخرطوش على المتظاهرين، إضافة إلى فيديو قامت جريدة اليوم السابع بنشره على موقعها الخاص، يظهر قيام أحد ضباط الشرطة باستمرار ضرب الخرطوش على شيماء حتى في لحظة حملها على أكتاف زوجها وهي مصابة، وضابط الشرطة يحرض الشرطي قائلاً: «اضرب... اضرب».

وإثر تلك الدعوات بضرورة فتح تحقيق في النيابة العامة يحضره حقوقيون، قامت النيابة بفتح تحقيق في القضية، وأمرت بتشريح الجثة وحثت كل من لديه شهادة عن مقتل شيماء، بأن يتقدم بها لنيابة قصر النيل. وجاءت المفاجأة بأن وجهت النيابة لشهود العيان تهمة المشاركة في المسيرة والتجمهر وخرق قانون التظاهر والبلطجة، ليصبح الشهود في القضية متهمين في جريمة، تتراوح عقوبتها القانونية بالسجن بين عامين وخمسة أعوام، مع غرامة مالية تقدر بخمسين ألف جنيه مصري.

الزوج المكلوم لن ينجو من العقاب

بعد استشهاد شيماء قامت النيابة باستدعاء زوجها، وهي لازالت في «مشرحة زينهم» حيث يتم تشريح جثمانها، ليخضع لتحقيق في نيابة قصر النيل والأمن الوطني حول أسباب تواجده في المسيرة التي لاقت زوجته حتفها فيها، وتم إطلاق سبيله على أن يتم استدعاؤه بعد دفن زوجته، ليلاقي نفس مصير الشهود بتهمة التجمهر وخرق قانون التظاهر.

قانون التظاهر يحصد أرواح «الورد اللى فتح فى جناين مصر»

تبدو حصيلة أكثر من عام على صدور قانون التظاهر مثقلة بالأرواح السجينة والمهدورة، نشطاء يواجهون لأكثر من عام مصيراً مجهولاً داخل المعتقلات، ما بين نشطاء من التيارات المدنية وغيرها، ويزداد عدد المصريين الذين لاقوا حتفهم، بسبب استخدام القوة المفرطة في فض التظاهرات، بينهم مدنيون وصحفيون ونشطاء، ليصبح القانون الذي زعمت الدولة إن شاء الله لمواجهة الإرهاب بمثابة انقلاب للآية، بأن يتحول مفهوم مواجهة الإرهاب إلى مفهوم إرهاب الدولة، وهو الأمر الذي حث الحقوقيين المصريين لتحريض القوى الشعبية والمدنية المشاركة في المجلس القومي لحقوق الإنسان، على ضرورة الانسحاب منه، وذلك للضغط من أجل إلغاء قانون التظاهر، الذي قمع حرية التعبير بحسب بيان صادر عن الشبكة العربية لحقوق الإنسان، بضرورة إلغاء القانون الذي لم يفرق بين مسيرات سلمية بالورود، والمسيرات المسلحة الأخرى، وأعطى الذريعة للشرطة المصرية في استخدام مفرط للقوة، كامتداد للنهج الذي قامت به تجاه المتظاهرين في «ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ المجيدة».

وبرغم دعوات الحقوقيين المصريين مازال كثير من النشطاء يرون أن دماء شيماء الصباغ وغيرها من الشهداء ضاعت هدراً، إلا أن الحالمين ممن يشيعونها مازالوا يؤمنون أن الطريق ممتد نحو الإصلاح والتغيير وبلوغ حلم المدنية وتحقيق أهداف الثورة المتجسدة في «العيش والحرية والعدالة».

الحمل

الحمل:

يعدك الفلك بشهر جيد على المستوى المهني والمحيط الاجتماعي. تحصلين على التقدير. عاطفياً أنت محط إعجاب أحدهم. يقدم لك الفلك فرصة للتعارف ربما عليك الخروج والتواصل مع الآخرين. يمنحك الفلك القدرة على تعزيز قوتك والثبات والقدرة على الإنجاز.

الثور

الثور:

ما زال المشتري في مدارك يفتح لك آفاق جديدة. فرصة لحضور لقاء هام. تجني خلاله الخلافات والنقاشات التي تثير الغضب. ترقين في عملك. وتحققين مكاسب مالية. عاطفياً توقفي عن إلقاء الاتهامات العشوائية على الحبيب. عالجي الأمور الطارئة بهدوء حفاظاً على العلاقة.

الجوزاء

الجوزاء:

يعدك الفلك بعام شديد التميز. يعوضك عن ما سبق. قد تواجهك بعض الأزمات خلال الفترة القادمة. لا تفقدي صفاء مزاجك ولا هدوء أعصابك. اعتني بصحتك ولا تستهيني بالمشاكل الصحية. عاطفياً تحسمين أمورك هذا الشهر وتخوضين تجربة جديدة.

السرطان

السرطان:

لا شيء يقف أمامك. تملكين طاقة هائلة. وظفيها في العمل على مشروع حلمت به طويلاً. فهذا هو الوقت الأمثل. اهتمي بالتميز في كل شيء فأنت محط الأنظار. عاطفياً تعيشين فترة هادئة. الحبيب حاضر بقوة. يدعمك في كل ما تحتاجينه.

الأسد

الأسد:

أنت أمام فترة اختبار. تعاملي معها بتفاؤل وثقي بإمكاناتك وقدراتك. لا تتأثري بآراء الآخرين. هذا الشهر ليس فترة مناسبة للقرارات المصيرية فلا تندفعي. عاطفياً يعاكس الجو توقعاتك وتتوترين. لكن تحسنات الفلك تدخل عالمك. وتجلب معها فرصة للتعارف والارتباط.

العذراء

العذراء:

يسيطر عليك القلق والتوتر ، تواجهين الفشل في عدة مواقف. تلعب الظروف الخارجية دوراً كبيراً في حياتك هذا الشهر. دعي الأمور تأخذ مجراها. ووفري طاقاتك لفرص جديدة. انشغالك عن الحبيب يكسر الروتين بينكما. تجني إثارة المواضيع الحساسة وكوني إلى جانبه.

الميزان

الميزان:

لا شيء يسير بالسلاسة التي خططت لها. عليك قبول الأشياء التي لا تستطيعين تغييرها. لا تستسلمي لخيبة الأمل بل ركزي على الآتي بإصرار وصبر. عاطفياً يشكو الشريك انشغالك. أتيحي له فرصة مصارحتك. ونظمي وقتك بينه وبين العمل.

العقرب

العقرب:

تتجاوزين مرحلة سابقة من الشكوك وصعوبة اتخاذ القرار . لديك من التوازن ما يمكنك من النجاح. أمامك شهر صعب على صعيد العمل. عليك بالجدية والتركيز. انسي تجربة الانفصال واستمتعي بعلاقة منسجمة وهادئة يعدك بها الفلك نهاية هذا الشهر.

القوس

القوس:

تزداد الصعوبات. لا بأس بقبول عروض المساعدة من زملائك. في حياتك كثير من النزاعات. لا تدعي الأمور تصيبك بالإحباط. اهتمي بصحتك وابتعدي عن الوجبات السريعة. عاطفياً تفاهمي مع الحبيب واجعلي استقرار العلاقة أولوية ولو كلفك ذلك بعض التنازلات.

الجدي

الجدي:

استقامتك ومنهجيتك تساعدك على العمل بصورة جيدة ضمن الفريق. حافظي على تكيفك في العمل. هناك تقدم في علاقتك العاطفية استغليه واستمتعي ببعض الرومانسية. لامانع من بعض المصاريف الإضافية لكسب ود الحبيب. في مجال الاسرة فرصة للمصالحة ولم الشمل.

الدلو

الدلو:

تقومين بدعم وتحفيز من حولك وتمدينهم بالطاقة. لكن لا تهملي احتياجاتك الخاصة. اعملي على تنفيذ أفكارك والاستمتاع بوقتك. وحافظي على حسن إدارتك لعملك. تشعرين بصحة جيدة. لكنك تحتاجين للترفيه والاستراحة. عاطفياً تطوين الماضي بمسامحة أو اعتذار وتعيشين شهراً رومنسياً بامتياز.

الحوت

الحوت:

يبشرك الفلك بأهم أيامك هذا الشهر.مداخل جديدة للنجاح. وتفاعل إيجابي ومساعدة من المحيطين بك. تقبليها وتعلمي من خبرات الآخرين. لكن لا تتيحي تحميلك مسؤولية ما لم ترتكبيه.

عاطفياً تواجهين أزمات مقلقة مع الشريك والأهل. تتخطينها بثقتك العالية بنفسك. لكن تجني المبادرة بأي تصرف تخشين عاقبته.

الكلمات المتقاطعة

أفقي

١-من أوائل الناشطات المعتقلات في تظاهرات ٢٠١١
٢-نسبي- مدينة سورية (مبعثرة)
٣-أداة شرط- درب- من الزهور
٤-بلد- ما يبطل عمل السم
٥-وشى- إبداعات- أداة نداء
٦-أحد المحيطات- من الفراعنة
٧-عائلاتنا- من البقول
٨-متشابهان- أحد الوالدين (معكوسة)، من يولدان معاً
٩-أحد فلاسفة اليونان (معكوسة)- طعم العلقم- لتثبيت الخيمة (معكوسة)
١٠-طاولة يجلس عليها الأنداد (معكوسة)- حرف ناصب (معكوسة)
١١-أحد أبواب دمشق- أديان
١٢-باحثة سورية ساهمت في علاج التوحد لدى الأطفال

عامودي

١-شاعرة سورية معارضة
٢-حرف أبجدي- عكس الحرب (معكوسة)- للنفي (معكوسة)
٣-ربط وشد (معكوسة)- حيوان أليف- نظّما
٤-الفيضان- يسلب (معكوسة)
٥-دولة أوروبية- خيمة الألعاب
٦-يسقط- دعم (معكوسة)
٧-من أكبر الأبنية(معكوسة)- لقاء (معكوسة)
٨-أجاب- قائمة العناوين (مبعثرة)-
٩-قرية في حماه شهدت مجزرة عام ٢٠١٢
١٠-أحصى- قنوط واستسلام- ود- من الضمائر (معكوسة)
١١-مدينة ساحلية فلسطينية- نص شعري - قصيدة لمحمود درويش (معكوسة)
١٢-من ملوك سبأ- مؤيد

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ن	و	ر	ا	ا	ل	ر	ف	ا	ع	ي	
٢	ا		ص	ل	ي		ص		ل	د	ا	ب
٣	ل	و		ط	ر	ي	ق		ت		ف	ل
٤	ي		د	و	ل	ه		ت	ر	ي	ا	ق
٥	ن	م		ف	ن	و	ن		ي	ا		ي
٦	ا	ل	ه	ا	د	ي		ر	م	س	ي	س
٧	ا	س	ر	ن	ا		ع	د	س		ت	
٨	ل	ل				م	ا		ة	و	أ	م
٩	ط	ا	ر	ق	س		م	ر		د	ت	و
١٠	ي		ة	ر	ي	د	ت	س	م		ن	ا
١١	ب	ا	ب	س	ر	ي	ج	ه		م	ل	ل
١٢	ي	ل	ا	ي	ك	ا	ا	ف	ي	ه		ي

سودوكو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء الـ ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى تسعة دون تكرار.

	2			1			4	5
3	6				5	1	2	
1	8				4			7
				3			8	
		9	1	4	2	3		
	1			7				
6			4				9	8
	9	2	8				1	4
7	4			5			6	

كلمة السر

سمر كوكش

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر عيناك حين تبسمان تورق الكروم وترقص الأضواء كالأقمار في نهر يرجه المجذاف وهنا ساعة السحر كأنما تنبض في غوريهما النجوم وتغرقان في ضباب من أسى شفيف كالبحر سرح اليدين فوقه المساء دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف

ع	ي	ن	ا	ك	ك	ا	ل	أ	ق	م	ا	ر	م	
ك	ش	س	ي	س	غ	و	ث	غ	ر	ق	ا	ن	ن	ض
أ	ف	ا	ن	ا	و		غ	ا	ب	ت	ا	ا	و	ب
ن	ي	ع	أ	ع	ر	ع	ا	ف	ا	ا	س	و	ا	ا
م	ف	ة	ى	ة	ي	ي	ل	و	ل	ل	ر	ت	ل	ب
ا	ر	ت	ا	ا	ه	ن	م	ق	ن	ك	ح	د	م	ش
و	ا	ن	ل	ل	م	ا	ج	ه	ج	ر		ق	س	ر
ا	ح	ب	س	خ	ا	ك	ذ	ح	و	و	ا	ص	ا	ف
ر		ض	ح	ر	ا	ت	ا	ي	م	م	ل	أ	ء	ث
ت	ا	ع	ر	ي	ل	ب	ف	ن	ي	ت	ش	س	ن	ا
ع	ل	ن	و	ف	ي	س	ف		ر	و	ت	ى	ه	ن
ا	س	ه	ه	د	د	م	ي		ج	ر	ا	ف	ر	ن
ش	ح	م	ن	ف	ي	ا	ه	ي	ه	ق	ء	ي	ف	خ
ة	ر	ا	ا	ى	ن	ن	ا	ل	ق	م	ر		ي	ي
ك		ا	ل	ب	ح	ر	ا	ل	أ	ض	و	ا	ء	ل

الفن ليس في العقل
الفن في العين في الأذن وعلى الجلد بكامله

الفن حين يتخطى الإدراك العقلي إلى فصل الحواس

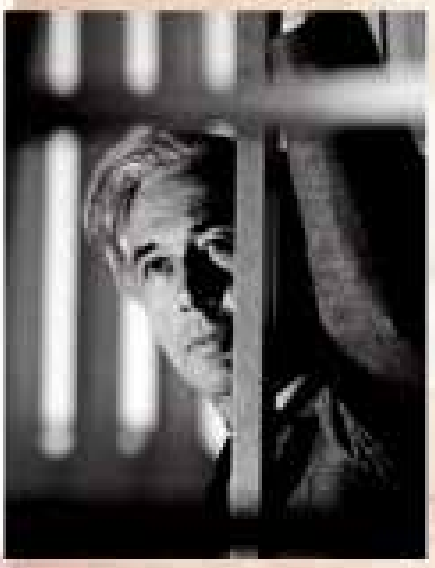

عفاف حلوني

إذا كان من وصف لأعمال «روبير بريسون» فإنها خلق لبعد جديد، روحي وحدسي، من خلال الصورة. يقول المخرج الفرنسي: «عليك أن تحاول العمل ليس من خلال إدراكك، وإنما بحواسك وقلبك وحدسك». الأولوية إذن للحس قبل الذكاء. فليست سينما بريسون تكثيفاً للعواطف والحركة التمثيلية المسرحية، بل إنها خاضعة للعادة والثقافية على هذا الأساس يختار بريسون ممثليه غير المحترفين. ومن خلال فاعلية التكرار والصمت في المشاهد يصل بهم إلى حالة الحضور التام المجرد من كل مسرحة للفعل التمثيلي. فالعمل السينمائي بالنسبة له ليس مسرحاً مصوراً. وعليه أن يؤمن بالشخصية وليس بالممثل.

من هنا المنطلق، تكون الجمالية منوطة بعمق الإحساس المجسد تلقائياً وليس بلعبة الأداء. فلسفة بريسون السينمائية الفريدة لا تنخرط ضمن الطلب أو الذوق العام لجمهور الباحث عن العرض «الفرجوي». الحوار التوضيحي والوجوه اللامعة، بل يعتمد المخرج في تقسيم المجال البصري، ويركز على أجزاء كاليد والقدم والوجه. فتعبيرية اليد مثلاً، والتي أبدع بريسون في ابرازها سينمائياً، توحي بالفكرة المراد إيصالها حسب الموضوع طبعاً. هنا يحضر البعد التشكيلي لبريسون بعين رسام قديم. فكأن الشاشة لوحة يهدف منها ما يشاء، الأماكن والشوارع يجب أن لا تتنفس الوجوه. فالوجه هو المكان، هو اللغز الخاص بكل كائن حي. أما خاصية الصوت فتحضر بشكل فريد، وعلى قدر من أهمية الصورة لاكمال المشهد. فالأصوات الطبيعية كصوت تماثل الأشجار، صهيل الخيل، فرك الفاتيح المعدنية والصفير البعيد للقطار جميعها مؤطفة لزيادة الشعور بعمق التجربة الوجودية للشخوص. في المقابل تختفي الموسيقى تدريجياً.

مع تقدم مساره يختار بريسون أنه لا داعي لموسيقى مرافقة، مساندة أو داعمة، لا داعي للموسيقى البتة. فالأصوات هي الموسيقى. تعود هذه «الرؤية الجمالية» الخاصة بريسون إلى اعتبار أنه يستحيل التعبير بقوة كاملة عن شيء ما بواسطة اثنين من الفنون (الموسيقى-السينما). الموسيقى تأخذ كل المساحة ولا تعطي الكثير من القيمة للصورة.

على مستوى المشاهدة تتطلب أفلام المخرج درجة عالية من الحس والاندماج لادراك العمق الكامن وراء التفاصيل، والتسلسل الزمني للمشاهد التي تعكس تدفق الحياة البسيطة كما هي. والحاملة لكثير التجربة الإنسانية. أعمال روبير بريسون قادرة على دفعنا إلى التفكير من حيث إنها تحركنا عبر صدمة فيزيائية. فالصورة تحمل الأفكار بقدر مركب من الإيحاء. بريسون يخفي الأفكار برعاية جميلة.

العثور على المعنى المحتجب لا يستنزف التفكير بقدر ما يخاطب الحدس الانساني للمشاهد. حل أفلام بريسون بعد عمله الأول معتوحاة أدبياً بشكل أو بآخر. بالرغم من تعديلها سينمائياً. الفان منها مقتبسان من أعمال للكاتب دوستوفسكي (Une Femme douce) و(Quatre nuits). واثنان من أعمال لبرنانوس (Journal)و(Mouchette). وواحد لتولستوي (Argent). وآخر عن ديدروت (Les Dames). في حين أن فيلم (Un

Condamné) و(Le Procès) اقتبسا من قصص واقعية.

أمّا فيلم (Pickpocket) مستوحى من رواية دوستوفسكي (Crime and Punishment) وفيلم (Balthazar) يحتوي على قصة مشابهة لرواية نفس الكاتب (The Idiot). فيلم (Lancelot du Lac) مستمد من رواية الكاتب مالروي (Arthurian legends).

لا يمكن إذن الجزم بايديولوجيا مُحركة لأعمال روبير بريسون، فهو يُحاكي التجربة الإنسانيّة بكل تفاصيلها دون أن يتورّط في نسقيّة الكشف عن دوافع الشّخصيات أو تصنيفها. وإنما يُجسّد الوجود النّفسي بكل تقلّبه وعمقه ومضامينه الفلسفيّة. في فيلم «بالتازار» مثلاً، والذي يرى مُحبّوه أنّه تحفته النادرة التي لم تصل السينما إلى مستوى اختزالها وفطنتها، يُقدّم بريسون من خلال شخصيّة الحمار ومالكيه بانوراما إنسانية، يمزج فيها بين معاناة الحمار «بالتازار» وبين تعقيدات البشر وغوغائية حياتهم. ويربط في العمل بين رمزيّة أفعال الشّخصيات ومصائرها وحياة الحمار ومصيره. يقول المخرج إنّ هناك مُحايثة خطيّة في حياة الإنسان والحمار. تلتقي عند نفس المراحل تقريباً. بريسون في هذا الفيلم يتساءل بطريقة سينمائية بحتة عن ماهية الحياة. ويضفي على العرض صبغة فوضوية من خلال ما يجسده من قسوة الإنسان الغريزية ودوافعه المدمرة.

في فيلم «موشيت». بطلة الفيلم مراهقة، أهملتها أمها المريضة ووالدها السكير. وتركاها لحياة تبدو في البداية أنها لا يمكن أن تزداد سوءاً. لكن تعاقب الأحداث سيقود الفتاة إلى مواجهة لا خلاص منها مع عالم شديد العنف والقسوة. لقطات بريسون المبتورة المتكررة لتطهير النّفس البشرية المتصدّعة. وعزلة الشّخصية المحورية موجعة. تبحث عن القبول والتواصل. فلا تُقابل إلا بالغدر مرغمة على الاستسلام لمصيرها.

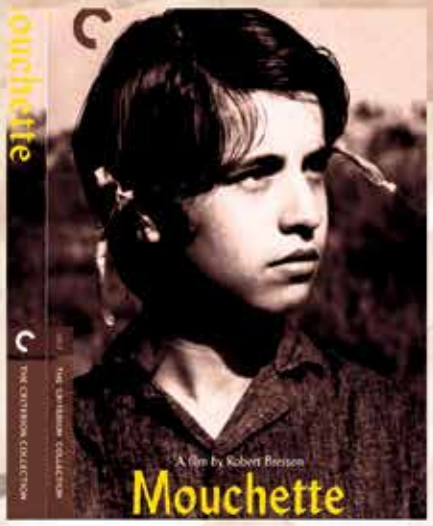

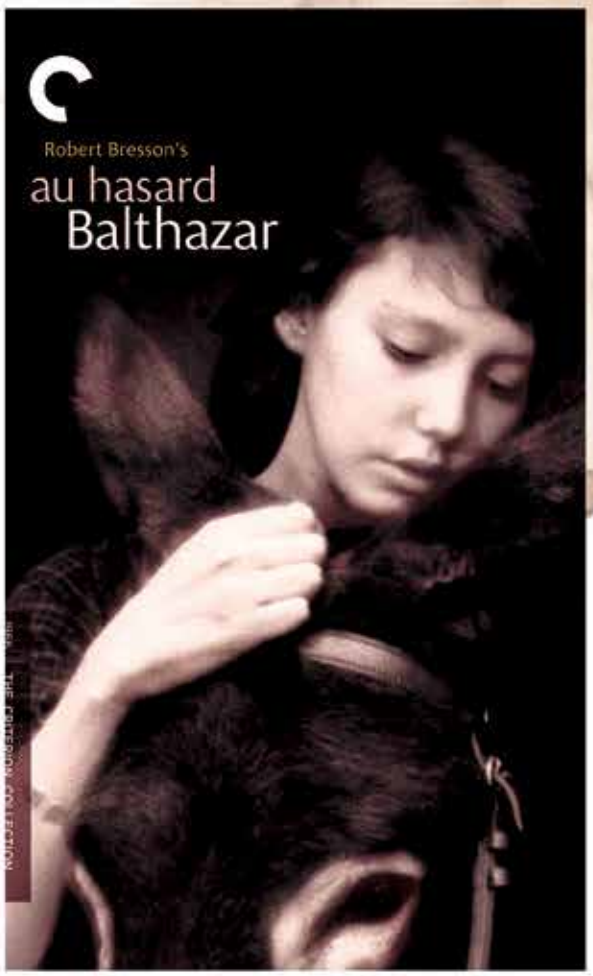

فيلم «النّشال» طرحٌ لشخصية مايكل، الشاب العاطل عن العمل ذي الطباع الباردة والوجه الخالي من التعبيرات التي تستطيع استشفافها بشكل كامل. روبرت بريسون دائماً مايثير تلك الجوانب المجهولة في عوالم شخوصه. يجسّد المخرج التعقيدات التي تعايشها شخصية النّشال، مخاوفها الداخلية تحت وطأة الأخلاقيات، الإدمان الذاتي والرغبة في إثبات الوجود في المجتمع، من خلال انفراديته بفعل هو سلب جيوب الآخرين وصدّ أي علاقات يمكنها أن تظهر الفراغ العاطفي، والعار الذي يكتسيه من خلال شرور نفسه... يرسم المخرج حركات السّرقة الجماعيّة بطابع إبداعي فريد، ثمّ يُعري مفارقة النّفس البشرية وازدواجيتها من خلال علاقة النّشال بجين (الفتاة ذات الملامح البرينة)، وينتهي البطل بمواجهة مصيره بالسّجن.

فكرة القدر والخلاص والفشل تغلب على الرؤية الفلسفية للمخرج الفرنسي في مختلف أعماله، لهذا لا تروق لمُحبّي الانفراج والنهايات السعيدة، فمعظم النّهايات تراجيدية. إنّ التّجربة الروحانية أساس عمل روبير بريسون وطريقته في تجلّي التجارب الوجودية والنّفسية حدسية بالضرورة. فهو لا يشرح شيئاً كما صرّح. بل يُجسّد. عن طريق الصورة. التجربة في واقعيتها المُجرّدة.

وُلد روبير بريسون المُلقّب بفيلسوف السينما، في ٢٥ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٠٧ في منطقة يوي دوم، وسط فرنسا. درس الفلسفة والآداب اليونانية واللاتينية. وبدأ حياته الفنية رساماً، قبل انتقاله لممارسة كتابة السيناريو. ثم الإخراج والتنظير السينمائي. تعرض للاعتقال أثناء الاحتلال النازي لفرنسا عام ١٩٤١، وقضى أكثر من سنة في المعتقلات النازية. أخرج بريسون على مدار ٤٠ عاماً من العمل السينمائي العديد من الأفلام الروائية الطويلة، كان منها: ملائكة الخطيئة (١٩٤٣)، سيدات غابة بولونيا (١٩٤٤)، النشال (١٩٥٩)، محاكمة جان دارك (١٩٦١)، بالتازار (١٩٦٥)، موشيه (١٩٦٦)، امرأة رقيقة (١٩٦٩)، الشيطان ربما (١٩٧٦) والمال (١٩٨٢).

لا تسلبوا شهداءنا أسماءهم

وجدان ناصيف

انتشرت منذ بعض الوقت على صفحات التواصل الاجتماعي صورة لصبية في العشرينات من عمرها تحت اسم "رحاب محمد العلاوي"، وذكر الى جانب الصورة أن الصبية استشهدت تحت التعذيب. ورغم اعتراض البعض على عدم مطابقة الصورة بالاسم، إلا أن الخطأ لم يتم تصحيحه، بل بدأت الصورة تنتشر بسرعة في صفحات (الفايسبوكيين)، كما أعاد الكثيرون نشرها على (تويتر).

"ياسمين البكفاني"، صاحبة الصورة، قتلتها رصاصة قناص، بعد اخترقت نافذة الحافلة التي كانت تقلّها من دمشق حيث تدرس، إلى السويداء حيث عائلتها التي كانت تنتظرها. حدث هذا في آذار ٢٠١٣، وكانت ياسمين في سنتها الثالثة في كلية العلوم. صفحتها على الفايسبوك تظهر ألم أهلها وأصدقائها بسبب فراقها المفاجئ. لم يعرف قاتل ياسمين كالعادة، فلا تحقيق أجري، ودخلت قصتها في الثقب الأسود، مثل آلاف القصص المشابهة.

رحاب العلاوي، صاحبة الاسم، هي طالبة جامعية في السنة الثالثة، كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق أيضاً. جاءت مع عائلتها من مدينة تدمر في حمص، وسكنت منذ عام ١٩٩٤ في ضاحية الأسد بالقرب من دمشق. لم تعرض لها أي صورة، سوى صورة هويتها التي يبدو أنّها سلمت لأهلها حديثاً، وليس لديها كما يبدو صفحة على مواقع التواصل.

اعتقلت رحاب في ١٦ كانون ثاني ٢٠١٣ وحولت الى فرع الأمن العسكري بعد أسبوع من اعتقالها، واستشهدت تحت التعذيب بتاريخ ١٥ شباط ٢٠١٣. وحسب مركز توثيق الانتهاكات في سوريا، فقد تم دفنها في مقبرة جماعية أقامتها قوات الأسد في منطقة "نجها".

بعيداً عن الوقوف عند حرمان أهل رحاب من إقامة عزاء لها أو معرفة مكان دفن جثتها، وبعيداً عن الاختلاف أو التشابه الكبير بين القاتلين، لا بد من ملاحظة أن الشابتين تشاركتا الكثير من الصفات، أهمها أنهما طالبتان جامعيتان، وهما في نفس العمر، وكلتاهما زفت للموت باكراً وحرمت من العيش واحتمالاته، من أن تكبر وتكمل دراستها وتتخرج، تعمل، تقع في الحب، تتزوج وتنجب، إلى آخر احتمالات العمر الطويل، تشاركتا في أن الموت الذي يحصد أرواح السوريين كل يوم، اختارهما في نفس الفترة، بين شباط وآذار ٢٠١٣.

هناك أسباب كثيرة واعية وغير واعية تقف وراء هذا الخطأ في تبادل الصور والأسماء، أهمها النزف السوري الطويل، والصمت الدولي المخيب للآمال. فقد درج البعض ممن ينظرون إلى المشهد السوري من بعيد على تنميطه، ودرجت عند النشطاء محاولاتهم الدائمة لكسر هذا التنميط. فالسوريون لازالوا يعولون على التفات العالم لحجم الكارثة، ولاستجلاب تعاطفه، كما ويقوم النظام بالكثير من الألاعيب الإعلامية، لإظهار إعلام المعارضة كإعلام كاذب، من خلال تسريب بعض الصور الملفقة التي يتناقلها النشطاء بدون التريث للتأكد من صحتها. والتنميط في مثالنا هو أن النظام علماني وهو حامي الأقليات، وكسر التنميط يأتي من خلال إثبات عكس ذلك.

لكن يغيب عن أذهاننا ونحن نحاول كسب تعاطف الآخرين إلى أننا نرتكب جريمة بحق الصبيتين وذويهما، من خلال حرمانهما تفاصيلهما الشخصية بعد أن حرمتا من الحياة.

لكن يبقى لتبادل الصبيتين اسميهما وصورتيهما دلالات رمزية بعد مرور سنتين على جريمة قتلهما. ويمكن انتهاز وقوع هذا الخطأ للتأكيد بأن التعذيب حتى الموت للمعتقلين وسلبهم أبسط ما يصون كرامتهم هو جريمة كبيرة لا تسقط عن مرتكبها بالتقادم. وكذلك فإن قتل المدنيين يخرج عن معايير الأخلاق، وبشكل خرقاً للقوانين حماية المدنيين في النزاعات المسلحة. وهي فرصة أيضاً للتذكير بأن الموت، وإن اختلفت اشكاله، فهو يسلب من سوريا نسغ الحياة، شباب وشابات بعمر الورد، نخسرهم يومياً، ونخسر معهم احتمالات كثيرة لمستقبل كنا نستحقه.

حارسات الغياب من يحرسهنّ؟

ياسر الأطرش

في الحالة السورية، كما في مثيلاتها، تبدو المرأة الطرف الأضعف، لا لجهة ضعف بنيانها الجسدي كما يمكن أن يتبادر أولياً للذهن، ولكن لجهة إمكانية استغلالها، تسليعها واستخدامها كوسيلة ضغط نفسي وعسكري.

وعلى قساوة المشهد، وازدياد قتامته، لم نشهد على مدى أربع سنوات محاولات جادة مدعومة، بحيث تفضي إلى حلول أو شبه حلول تقلل خسائر المرأة، بل على العكس، تدرج الأمر من الاستغلال إلى التسليع إلى الإتجار العلني.

القصة بدأ فصولها نظام الأسد، عندما استخدم المرأة منذ بدايات الثورة، وسيلة للضغط ولَيّ ذراع معارضيه، فاستهدفها لا لكونها جزءاً من النشاط الثوري وحسب، بل لكونها نقطة ضعف يمكنه بها النيل من خصومه وكسر إراداتهم بـ"هتك شرفهم"، فسارع إلى اعتقال النساء واغتصابهن وتصويرهن في أوضاع مخلة ومذلة، وغالباً ما كان مسعاه يلاقي صدى، فالشاب الذين يعتقلون أخته أو أمه لا يجد بديلاً عن تسليم نفسه فداء لها، على مبدأ يدرك النظام ألا مُبدّل له، وهو أن الشرف أغلى من الروح في عقيدة جلّ السوريين.

وما كان من المؤسسات المعنية بالمرأة إلا أن ترفع الصوت محذرة تارة، ومصدرة بيانات وإحصاءات صادمة تارة أخرى لأعداد المعتقلات والمغتصبات والمختطفات، دون أن تؤدي دوراً فاعلاً في تقديم صور حل ممكنة، ولا ساعيةً فعلياً لإنقاذ ما يمكن من المتضررات المحتملات، وجاءت مساعدات الهيئات الدولية المتخصصة بشؤون المرأة متأخرة جداً ومقتصرة على محاولة لملمة جراح المنتهكات، دون وصفة وقاية واحدة.

وتتالت الفصول، على نفس النهج، فالمرأة موضع حرجٍ وإحراجٍ واتهام ليس إلا، وعليه كتبت فتاة "غسان بن جدو" الفصل الثاني من القصة، تحت عنوان "جهاد النكاح"، وفي هذا الفصل تم تسويق المرأة على أنها إرهابية، ولكن دون التخلي عن دور الجسد في الموضوع، فالمرأة الإرهابية تمارس الإرهاب من بوابة جسدها بمنحه لـ"الإرهابيين"، في استحضار ممسوخ مُنَقّصَد لـ"الحور العين".

ومع حالات الخطف والاغتصاب اليومية، امتنع كثير من الأهالي عن إرسال بناتهنّ إلى المدارس والجامعات، ما أدخل المجتمع في معضلة جديدة قديمة، وأصبح الخوف على الفتاة ومنها! وهكذا عدنا إلى ما يشبه حالة "إذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى".

وخارج حدود جحيم الوطن، كان العرب يكتبون الفصل الأوسع والأوجع من القصة، فمنذ بدايات النزوح السوري، وقبل أن يفكروا بالانتصار للثورة الحق، أو باحتواء الأطفال، الفئة الأكثر ضعفاً وحاجة وحقاً بالرعاية، توجهت بوصلتهم إلى المرأة، وقاموا يشتغلون على إبداع وسائل للإيقاع بها، وسائل يجب أن تكون محمية بسور الدين المتين، حيث يتم البيع والذبح على الشريعة! وهذا ما كان، إذ راح علماء "الشهوة" يفتون بوجوب الستر على السوريات اللاجئات، عشرات "العلماء" تورطوا، وآلاف المريدين لبّوا، فكانت عمليات البيع تتم وفق شريعتهم، دون أن نجد أصوات مشايخ الثورة تتعالى وتذود عن القاصرات، وانبرى المتورطون من الآباء وذوي الفتيات للدفاع، إنه زواج شرعي مكتمل الأركان، بورقة عقد وشاهدين، ومبلغ يدسه الأب في جيبه يستعين به على ويلات النزوح، غير مكترثٍ بما يمكن أن تحمله القادمات من الأيام، فهذه التي خرجت من خيمته وحدها، ربما، أو غالباً، ستعود بعد قليل من الوقت حاملة إليه حفيده الذي لن يرغب في رؤيته أو تحمل تبعات قدومه إلى الدنيا.

ويستمر الفصل العربي، إذ لا حدود للرغبة، ويقول الراوي أيها السادة: إن غالبية كتّاب الفصل ومعجبيه هم من الخليجيين، ولشدة "ورعهم وتقواهم" تراهم ينشئون صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، ومجموعات "واتس أب" وكلّ ما قدّرهم الله عليه، ليستروا على السوريات، وطبعاً لا يختارون الأرامل أو كبيرات السن نوعاً ما، بل تؤكد إحصاءات المؤسسات المتخصصة أنهم لا يطلبون للزواج إلا القاصرات ممن هن دون ١٨ عاماً، إنه سوق مفتوح للنخاسة، تحت مسمع ومرأى ورعاية دولهم والمجتمع الدولي العاجز.

أما الفصل الرابع فتكتبه المرأة ذاتها، مضيفة ألماً جديدة لقلب قرينتها السورية، فالنساء في بلدان اللجوء يجاهرن بعدائهن للمرأة السورية، فهي مشروع زوجة ثانية سهلة البلوغ حتى لغير المقتدرين ماديّاً من الرجال، عزّز هذا الشعور وأكده وجود حالات غير قليلة في البلدان المعنية، مع غياب شبه تام لدور المنظمات الدولية والمؤسسات التوعوية والتثقيفية، وانشغال رجال الدين "الثوريّين" بالسياسة، واقتصار دور متبني قضية المرأة السورية على إطلاق حملات افتراضية لم تؤتِ أكلها ولم تنجح في تضييق حدود الظاهرة ولو مقدار خطوة.

ومع ذلك تظل هذه الجهود ضرورة، على أن تتوسع في كل الاتجاهات وتحاول الوصول بإلحاح إلى مفاتيح القرار أو المؤثرين فيه، من مؤسسات دولية ومتنفذين ممن يسمع الناس لهم، سواء أكانوا سياسيين أم دينيّين أم شخصيات عامة، وصولاً إلى خلق رأي عام يدين ظاهرة الإتجار بالسوريات، ويفرض على السلطات خنق الظاهرة بمعاقبة مرتكبيها حسب لوائح وقوانين الإتجار بالبشر.

على أمل أن نكتب نحن خاتمة الفصول كما يليق بمن صنعت ثورة.

أيمن الأحمد ...هذا البدوي حريق إلماء

حاورته ياسمين مرعي

وحده كمان "فريد فرجاد" يستطيع مخالطة فيض اللغة على البياض، ومداعبة كل ما يكمن داخل ذاك الصدر من سكينة وسلاسة بطعم الخابور. أيمن سليمان الأحمد، الكاتب السوري الشاب يفوز بجائزة الشارقة عن أفضل مجموعة قصصية، مانحاً قلوب كثيرين من سوريي الشتات نشوة رائحة الورق من بعيد، ومتعة النقش الأول كامنة في دمائهم. عن المجموعة والجائزة كان لنا الحديث الآتي..

- ماذا عن الماء لديك، أنت الذي ترى أن "كل شيء على ذمة الماء افتراض"؟

الماء هرمون خيالي يمكن إعادة تشكيله دون أن نستطيع الإمساك به، وهو معادل افتراضي للكتابة بالنسبة لي... شغلتني فكرة الماء كثيراً بحكم الطبيعة المائية التي عشت فيها شرق سوريا، وحكايات الماء التي لا تنتهي في ذاكرة المنطقة الشفوية.

الماء صيغة مذكر بخيال أنثوي هذه دعوة للحياة وللخلق وللموت.. الموت في الماء موت غامض لكنه موت زهو...

"يتسامى، الماء من مجرد كونه مادة تلبي حاجات بيولوجية إلى "هرمون خيالي"، يتمثل مجموعة مجازات واستعارات تأخذ صفات إنسانية"، بتعبير غاستون بلاشر في خيالاته المائية.

فالماء: مطهر، مقدس، غامض، مكبدة ، نقي، مؤنس، متجدد، حر، عنيف، أنثوي، كئيب، انعكاس، نرجس، حلم.. وموت أفقي.

- و"أنثى الماء"؟

حاولت البحث عن مكونات الماء عبر علاقة حب جدلية تحاول أن تمسرح الحب والحياة والموت، وفكرت بترجمة لغة الغريق، تلك الدوائر الغامضة والنداءات الأخيرة مستعيناً بقراءة بلاشر وفطرة الصورة الأولى لي حول نهر الخابور... فكانت أنثى الماء.

- متى أنجزت المجموعة، هل هي الأولى، وهل هو فوزك الأول؟

جميع نصوص المجموعة كتبت بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١١، أنثى الماء هي مجموعتي القصصية الأولى، وجائزة الشارقة هي الجائزة الأولى التي أفوز بها عن المجموعة كاملة، بعد أن حصلت غالبية نصوص المجموعة، بشكل منفرد، على جوائز أدبية محلية هي:

١- جائزة عبد السلام العجيلي (المركز الأول)الرقة ٢٠٠٨
٢- جائزة مهرجان الخابور الثالث (المركز الأول) الحسكة ٢٠٠٨
٣- جائزة البتاني (المركز الثاني) الرقة٢٠٠٩
٤- جائزة مسابقة القامشلي للأدب (المركز الثاني) ٢٠٠٨
٥- جائزة مهرجان الاشرقات (المركز الثاني) حمص ٢٠٠٨.
٦- جائزة ابن طفيل (المركز الثالث) السويداء ٢٠٠٩
٧- والعديد من الجوائز القصصية والشعرية على مستوى جامعات سوريا ولأعوام مختلفة.

- لا يمكن تصنيف المجموعة ضمن ادب الحرب في سوريا إذن؟

أيمن من مواليد الحسكة السورية 1984، يحمل إجازة في الحقوق من جامعة حلب، ويعمل في مجال الصحافة

إطلاقاً، فكل نصوص المجموعة كتبت قبل ٢٠١١.. لكنها تحدثت بشكل أو باخر عن العزلة والبطالة وفقدان الأمل والشعور بالانكسار والخيبة والقهر.. ربما كانت إرهاصات حقيقية لما حصل في ٢٠١١.. ولا أعتقد أن ثمة نتاج أدبي (إلى الان) يمكن وصفه بأدب الحرب في سوريا، الحالة في الأدب مختلفة وليست آنية، وربما نحتاج لسنوات لنجد أننا امام أعمال تسرد وقائع الحرب الدائرة في سوريا اليوم.

- هل حجزت الحرب ما أراد أيمن قوله خلال السنوات الأربع الماضية؟ وهل من وعود بجديد؟

سرد الحرب في سوريا يحتاج لوقت.. نعم هناك أعمال ظهرت خلال الثلاث سنوات الأخيرة وكان موضوع الحرب حاملها الأساسي، لكن اعتقد أن المأساة التي تعيشها سوريا جديرة بروايات شديدة التأثير، كروايات "الحرب والسلام"، و"وداعاً أيها السلاح"، أو حتى من نمط روايات "التربية العاطفية" أو "درب الحياة"، أو "قصة مدينتين".. مع ملاحظة تفضيل مهم هو أن بعض ما ذكرت من أمثلة تحدثت عن حرب وبعضها انحاز لثورة وبعضها لم ينصف ثورة.

لدي مخطوط كتاب آخر أعمل عليه الان... وأتمنى أن يرى النور كأنثى الماء قريباً.

أيمن من مواليد مدينة الحسكة السورية /١٩٨٤، يحمل إجازة في الحقوق، من جامعة حلب، ويعمل في مجال الصحافة منذ أعوام.

انعكاس الضوء

بشرى البشوات

تفتح زجاجة العطر، تفكّر أنْ تدلقها دفعةً واحدة؛ لكنّه رجل بلا رائحة وهي امرأة دون مسام...

الحادث الذي تعرض له، أفقده حاسّةَ الشمّ، لذلك كانت تراه دون ذاكرة، فهو لن يتذكّر رائحتها، لن يعرف بأنّها كانت هنا للتوّ، سيمرّ دون اكتراث، دونما اهتمام.

ستضيع بصمات جسدها من المكان، وهو لن يُدرك ذلك.

بكلمة واحدة أرادت أنْ تقتصّ منه ومن ماضيه: أرجوك ارتدي ظلّك واخرج من حياتي.

كان ظلّه يموت في الزقاق المؤدّي إلى نصف الرّغبة، وكل الحقيقة التي تخشاها.

لقد التقيا هناك، وكان لهما مطلق الحريّة ليعبرا جهة الصدفة التي خلقت تعارفهما الأوّل، أو يكتفيا بهذا القدر من الدهشة التي التفت حولهما.

الحكم الصادر بحقهما كان منصفاً، واحد زائد واحد يساوي اثنين، لم يكن مرةً ثلاثة.

هل تعلّل ذلك بالوقت وبأن الانتظار هو السبب؟ تقول في مذكراتها: الانتظار خبز الفقراء، تعنون الصفحة بهذه العبارة.

حتى هذا لم يعدني به، إنّه الإحساس الكريه ذاته، شعورك بالامتلاء في وقت تتضوّر فيه جوعاً... فمن يطعمني...؟!

كنا محكومين بالتأجيل، لم نكن يوماً "محكومون بالأمل"، هكذا هي حياتي معه، سلسلة من الأشياء المؤجلة.

دائماً كنت أجلس على الطرف المحاذي لفكرته و رغبته المنطلقة دون هوادة جهة أسواري، أرتطم بالسور فأصدر ضجيجاً مربكاً، صوت السيارات والطرقات و الاحتكاك، حتى الصمت له صوت، تلك الوشوشات في دواخلنا، حين نظن بإمكانية إخفائها عن الآخرين.. هذا محال (وليس مستحيلاً)..!!

إنها المدن تفضح أسرارنا بالرّغم من الاتساع كلّه (التوكيد يأتي بعد المؤكد) فيها.

وجهه الأبيض المطلي بالسواد، أطلق صوب قلبي سرب أفكار، كلامه الأخير فتك بالانتظار، وثمة ريح هبّت حين طلب إليّ أن أمضي إلى هنالك وأضرب وتداً في رمل الذكريات.

أسندت رأسي المحشو بالتعاويذ إلى صدره وظللنا حبيسين إلى أريكة كانت في ما مضى مرتعاً لمشاغباتنا، تلقّى دموعي الهشة براحة كفيه، فاستوبت لسوّ الأمر.

نظرت إلى الخطوط الثلاثة التي توسطت جبهته السمراء العريضة: ماذا بعد..؟

لماذا أحتاج يوماً أن أسأله ماذا بعد..؟

كنت أعرف و بعد كل مرة بأننا سنعبر وبسرعة في رقاقنا الضيق، أزرار قميصه المصفوفة إلى اليمين هاتفه النقال وبهر رسائلي الذي يتدفق باستمرار إلى صندوق الوارد لديه (طبعاً دون اسمي).

لماذا ننسى في غمرة لقاءاتنا المتكررة، وكنا يفعل ذلك، ننسى أن نتبادل أحبتنا بأسمائهم؟

ودون أن ننتبه يكون قد مرّ وقت أكثر من بعيد على آخر مرة ناديناهم فيها، وأنا أحرص كل ما التقيته أن أناديه.

رمى بقلقه على عتبة صمتي، لطالما لامني على فترات صمتي الشاحبة، ومع ذلك كان يستفز حضوري ويعرف بأنه يقدر أن يترك أثراً في نفس امرأة كونها باعتدادي.

آخر ما كنت أتوقعه أن أكون طرفاً ثالثاً في علاقة رسمها القدر قبل ظهوري فوق صفحات حياته، لم أكن أنتظر يوماً أن أتيه، كما صرت أتيه اليوم.

كان قد مرّ عامان على ذلك اللقاء الصباحي المبلول، حين قابلته صدفة في مكتب صديقة مشتركة.

الغريب في الأمر أنني لم أعد أعرف شيئاً عن صديقتي، لكنني أعرف الأشياء كلها عنه.

ذلك الصباح الذي ضفر بيننا جديلة، وأنجب لحظة و غادر.

حين صافحني وغادر مودعاً، ثم أردف الوداع بتلويحة، انعكس الضوء القادم من النافذة على أصابعه، وثمة لمعان ارتد إلى عيني مباشرة، شيء يشبه الخاتم.

غادر ... ليتركني كل تلك الفترة أنقب، وأقلّب الأشياء ربما أعثر على مبرر يقنعني بأن تلك اللحظة لم تحضر أصلاً، إنما كانت شلالاً تدفّق في خيالي، وضاعت معالمه، لا صار جدولاً، ولا حتى قطرة تسكب داخلي تنهيدات وزغاريد، لحظة أتيتني بأنية من فضة، و كان علي أن أنسل بها بعيداً عن العيون، كي لا يسرقها أحد مني، ربما لأنني سرقتها أصلاً لكن اللجين فضحني، أطل القمر.. سامره ودعاه هو الآخر للحظة كلحظتنا.

أحقاً كان شلالاً هادراً صعباً، ليتك كنت كذلك، كنت أرحتني، لقد تحوّل بين أصابعي ناياً من قصب، جمعت به قطيع أحلامي، صرنا عصبة وازدادت لحمتنا، وغصنا أكثر في يم عثرنا على مفاتيحه تواً ودلفنا: لماذا لم تغلق الباب في وجهي؟

كان الأمر أشبه بالسير إلى المقصلة بعينين مفتوحتين، وكنت معنية أكثر منه بالخروج من هذه المتاهة.

والرغم من كوني لا أحب ولا أجيد العمليات الحسابية لكنني كنت أعي أن "واحد زائد واحد لا يساوي ثلاثاً بل يساوي اثنين".

كان قد مرّ عامان على ذلك اللقاء الصباحي المبلول، واليوم وبنفس تاريخ ذلك الصباح، ارتد الضوء القادم من النافذة على أصابعي، وثمة لمعان انعكس إلى عيني الرجل الواقف قبالتي.

ثوار حلب الأبطال
هامات عالية وصمود القلاع

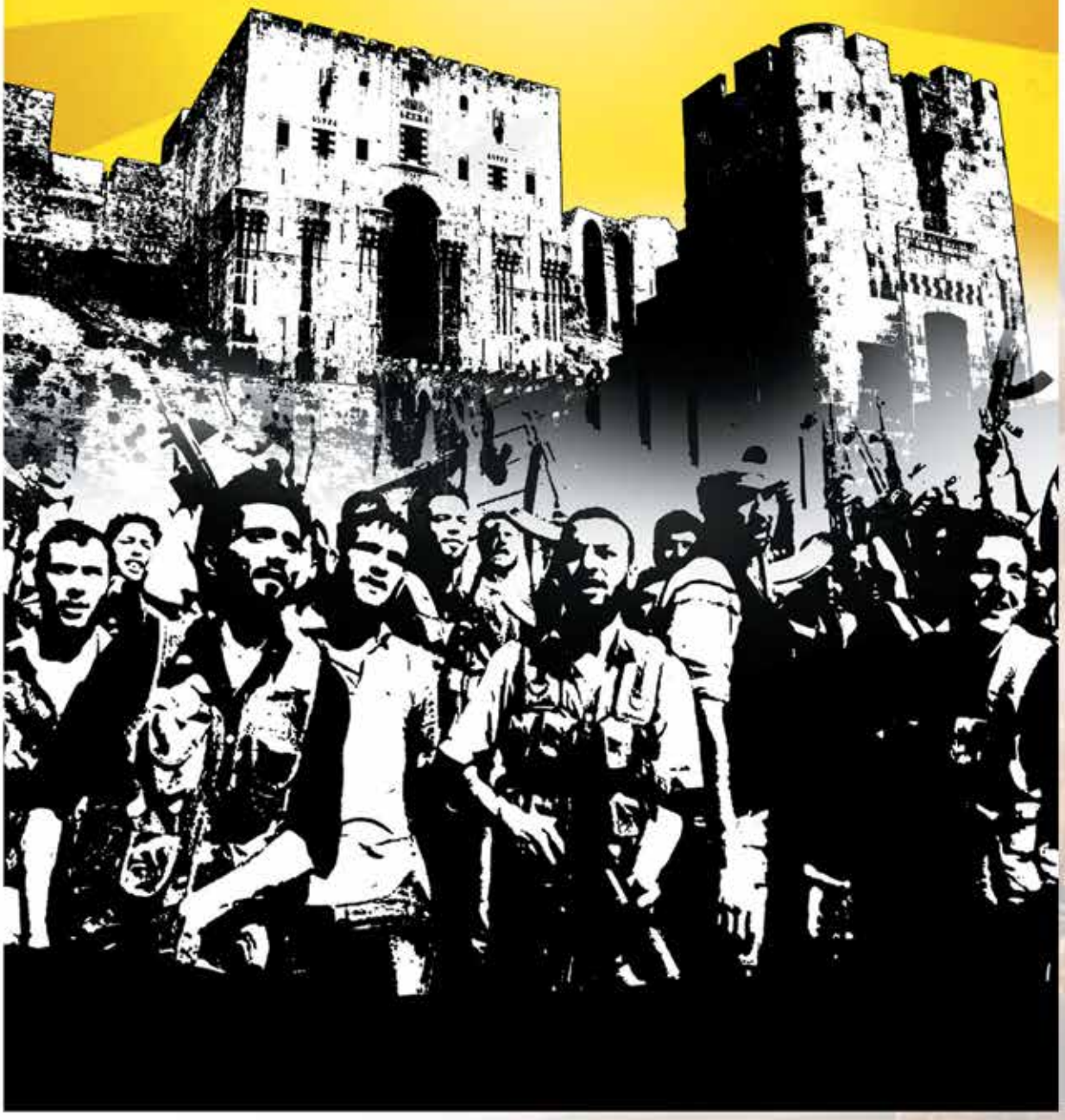

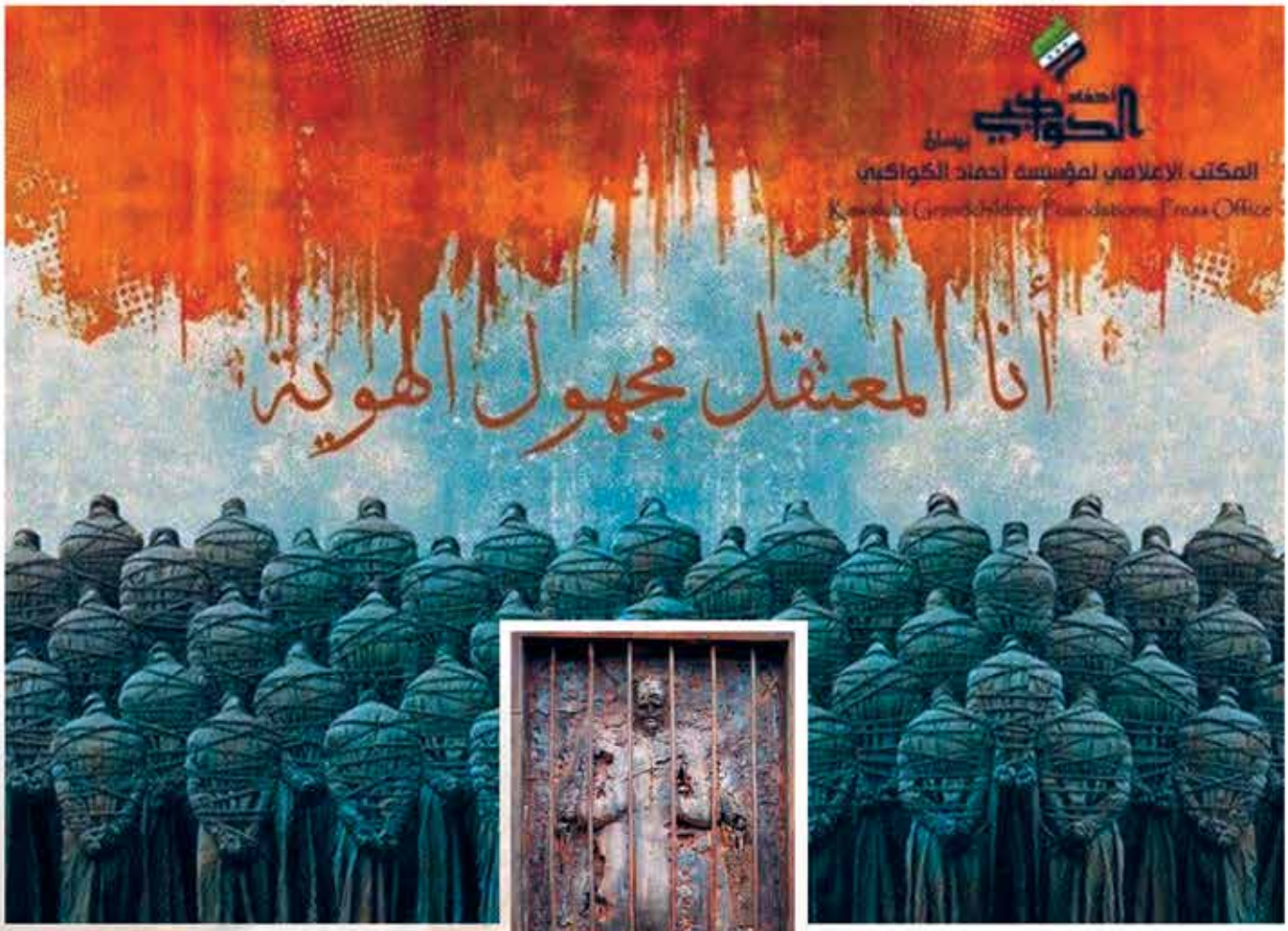

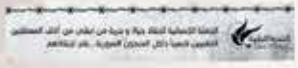

save the rest

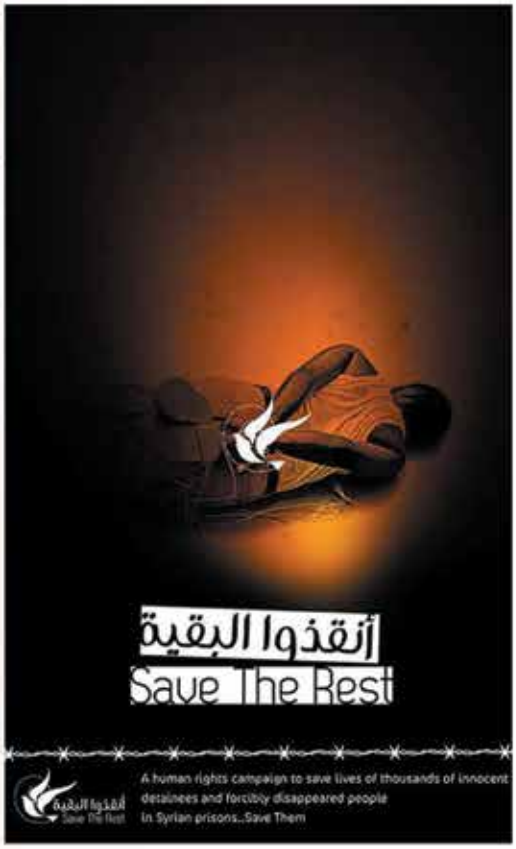

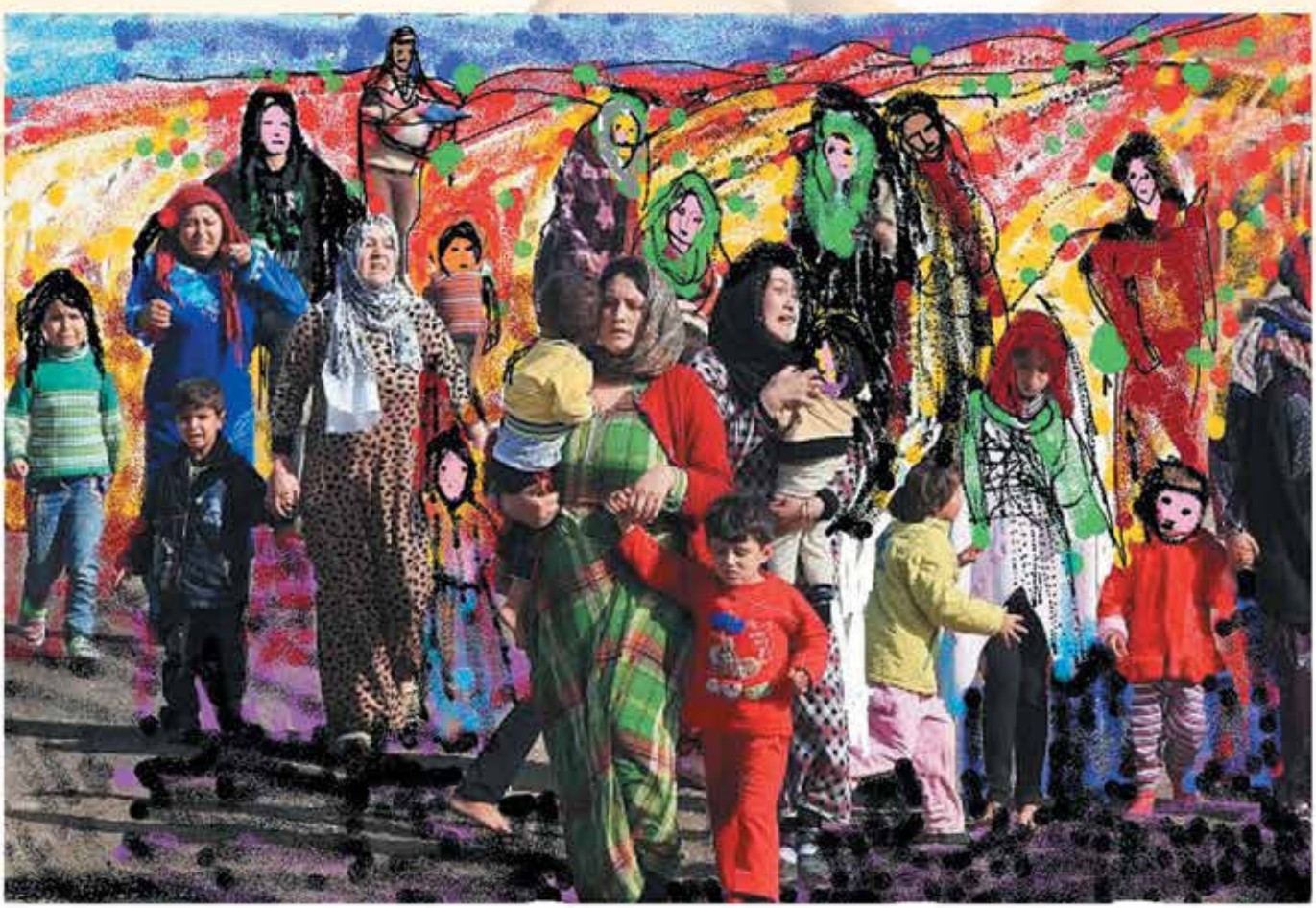

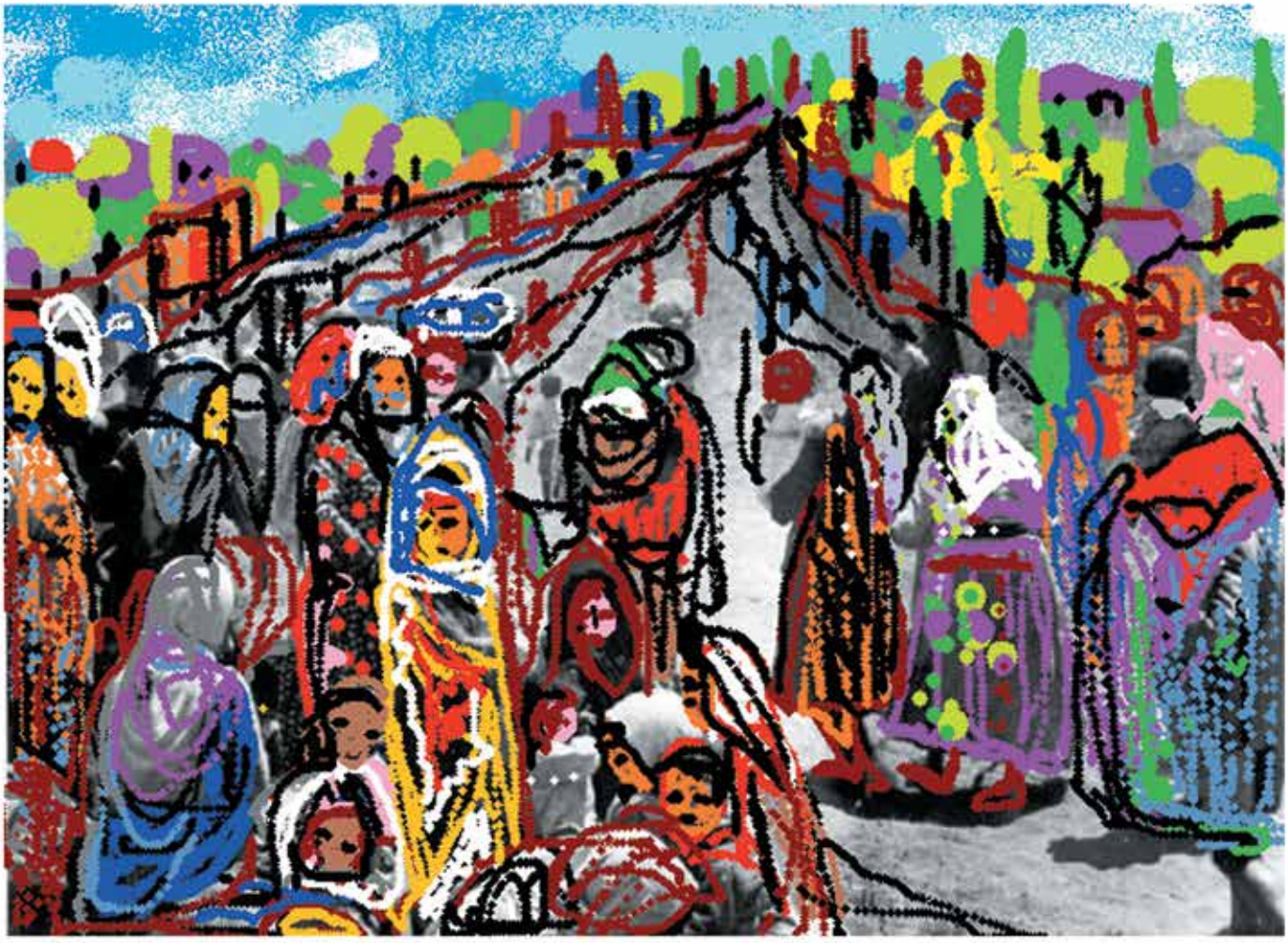

عملان للتشكيلية عتاب حريب